أربعون خطبة
في الإرشاد والاقتصاد

الدكتور عامِر مُحمّد نِزار جلعوط

مطبوعات KIE Publications
www.kantakji.com

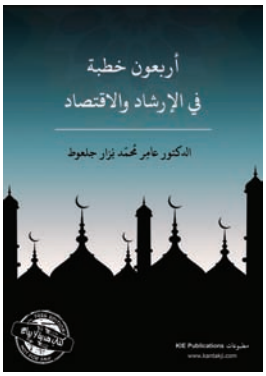

الكتاب: **أربعون خطبة في الإرشاد والاقتصاد**

المؤلف: د. عامر محمد نزار جلعوط

الإصدار الأول – الكتروني : كانون الأول / ديسمبر 2016

مطبوعات (KIE Publications)

الدكتور سامر مظهر قنطقجي

Tel.: (00963) 332530772

Tel.: (00963) 332518535

Mob.: (00963) 944273000

kantakji@gmail.com

www.kantakji.com

www.kie.university

Dimah Fakhri Designed by

الكتاب من تصميم وإخراج

ديمه محمد وليد فخري

مطبوعات Kie Publications
(كتاب الاقتصاد الإسلامي الالكتروني المجاني)

إنَّ (كتاب الاقتصاد الإسلاميّ الالكترونيّ المَجانيّ) يهدِفُ إلى:

- تبنيّ نَشرَ مؤلفاتِ علومِ الاقتصادِ الإسلاميِّ في السُوقِ العالميِّ؛ لتصبحَ مُتاحةً للباحثينَ والمشتغلينَ في المجالِ البحثيِّ والتطبيقيِّ.
- توفيرُ جميعِ المناهجِ الاقتصادية للطلابِ والباحثينَ بصبغةٍ إسلاميةٍ متينةٍ.
- أنَّ النشرَ الالكترونيّ يُعتبرُ أكثرَ فائدةً من النشرِ الورقيِّ.
- أنَّ استخدامَ الورقِ مسيءٌ للبيئةِ، ومُنهِكٌ لمَوارِدِهَا .

واللّهُ من وراءِ القصدِ

أسرةِ KIE Publications

لزيارة جامعة الاقتصاد الإسلامي kie university

لزيارة مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

إهداء وشكر

أهدي هذه الرسالة:

- إلى سيّدنا وحبيبنا مُحمَّد صلّى اللّٰهُ عليهِ وسلَّم.
- إلى من يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.
- إلى دُعاةِ الخيرِ.
- وإلى طَلبةِ العِلم.

أُهدي هذه الخُطَبَ المِنبَريَّة

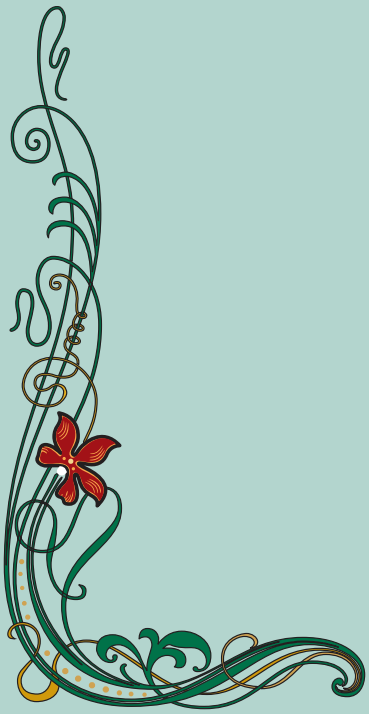

من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل[1]

أتقدم بالشكر لمركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية بإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور سامر قنطقجي حفظه الله ولكل من ساهم في هذه الرسالة من قريب أو بعيد وجزاهم الله خيراً.

(١) هذا نص حديث أخرجه أحمد في مسند عن أبي هريرة ج٢ ص٢٥٨، وكذا الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد: إسناده حسن. جـ ٣ ص٤٦٥.

المقدّمةُ

الحمْدُ للّهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا مُحمَّدٍ، وعلى آلهِ وصحبهِ، ومَن سارَ على دَربهم إلى يوم الدِّين، والحمدُ للّهِ القائل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥). وبَعْدُ:

لقد أَسَّس القرآنُ الكريمُ أُسُسَ الدعوةِ ومبادئَها، وأشارَ إلى وسائلِها وطرائقِها؛ فهي ليستْ لشخصِ الداعي ولا لقومِه، وإنّما هيَ للّهِ تعالى؛ من خلالِ مَنهجِ الحِكْمةِ، وأحْسَنِ الحوارِ، والنَّظرِ في أحوالِ المخاطَبينَ وظُروفِهم، والقَدْرِ الذي يُبيِّنُه لهُم في كلِّ مَرَّةٍ؛ حتى لا يُثقلَ عليهم كما قالَ الصحابيُّ الجليلُ عبدُ اللّهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللّهُ عنه لأصحابه: «وإني أتخوَّلُكُم[1] بالموعظةِ كما كانَ النبيُّ صلّى اللّهُ عليه وسلَّمَ يتخوَّلُنا بها، مَخافةَ السآمةِ[2] عَلَينا[3]». قال الإمامُ النوويُّ رحمَهُ اللّهُ: وفي هذا الحديثِ (الاقتصادُ في الموعظةِ)؛ لئلا تَملَّها القلوبُ؛ فيفوتَ مَقصودُها[4].

وعلى هذا مَشى الصحابةُ الكرامُ رِضوانُ اللّهِ عليهم، ومن ذلك ما قيلَ لعمَّارِ بنِ ياسرٍ رضيَ اللّهُ عنهُ عندَما أوجَزَ في خُطبته: «يا أبا اليقظانِ؛ لقد أبلغتَ وأوجزتَ فقالَ: إنّي سَمعتُ رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وسلّم يقولُ: «إنّ طُولَ الصلاةِ وقِصَرَ الخُطبةِ مَئِنَّةٌ[5] من فقهِ الرَّجُلِ فأطيلُوا

---

(١) والتخوُّل التعهُّد والمعنى: أنّه كان يُراعي الأوقاتَ في تعليمهم ووعظهم، ولا يفعلُه كلَّ يومٍ خشيةَ المَلال.

(٢) الملل.

(٣) أخرجه الإمام البخاري: كتاب العلم، باب مَن جعل لأهلِ العلم أياماً معلومةً، ج١ ص٣٩.

(٤) شرح صحيح مسلم ج١٧ ص١٦٤، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي دار إحياء التراث العربي، بيروت ط:٢، ١٣٩٢.

(٥) أي علامة، والمَئِنَّة: العقلُ والحلمُ، من التأنّي.

الصلاةَ وأقصرُوا الخُطبة»[1]. وليس مَعناهُ إطالةَ الصلاةِ تطويلاً يَشقى على المأمُومينَ؛ وإنّما الاعتدالُ بها؛ لما جاءَ عن جابرِ بن سَمُرةَ قال: (كُنتُ أصلِّي مع رَسولِ اللّهِ - صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّم- فكانتْ صلاتُه قَصْداً، وخُطبته قَصْداً)[2].

ولما كانَ من أمرِ النبيِّ صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّم: «بلِّغُوا عنِّي ولو آيةً[3]»[4]، فقد جَمعتُ خُطباً مُوجَزةً في الإرشادِ والاقتصادِ الإسلاميِّ؛ لتكونَ عوناً لطالبِ العلمِ في الخُطبِ المنبريةِ؛ من خلالِ هذا البابِ الكبيرِ الذي يَمسُّ أمورَ الحياةِ بشكلٍ مُباشرٍ أو غيرِ مباشرٍ؛ فخُطبةُ الجمعةِ تتوسَّطُ معاشَ الناسِ وبيعَهم وشرائَهم؛ فلابُدَّ من تذكيرِ الناسِ في حُسنِ تعامُلِهم تُجاهَ بعضِهم بَعضاً قال اللّهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (الجمعة: ٩ إلى ١١).

وهذا هُو التوازنُ بين مُقتضياتِ الحياةِ؛ من علمٍ، وعملٍ، وكدٍّ، ونشاطٍ، وكسبٍ، وبين عُزلةٍ قصيرةٍ للرُّوحِ، وانقطاعِ القلبِ وتجرُّده للذِّكرِ، والمؤمنُ لا ينبغي له الغَفلةُ عن اللّهِ تعالى حتّى عندما يبتغي من فَضلِ اللّهِ الكريمِ.

وكنتُ حريصاً بالدَّرَجةِ الأُولى على الاستنارةِ بكتابِ اللّهِ ثم هدي النبي صلّى

---

(١) الحاكم ج٣ص٤٤٤ وقال صحيح على شرط الشيخين، وابن حبّان في صحيحه: ج٧ ص٣١.

(٢) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الجمعة،باب تخفيف الصلاة والخَطبة جـ٣ص١١.

(٣) الظاهرُ أنّ المراد آيةُ القرآن، ويُفهم منه تبليغُ الحديث بالطريق الأولى؛ فإنّ القرآنَ مع أنه قد انتشَر وتكفَّلَ اللّهُ بحفظه. قال ابنُ حجَر: وقال في الحديث ولو آيةً أيّ واحدةً ليسارعَ كلُ سامع إلى تبليغ ما وقعَ له من الآي ولو قلَّ؛ ليتصلَ بذلك نقلُ جميع ما جاء به صلى الله عليه وسلم. فتح الباري شرح صحيح البخاري جَ٦ ص٤٩٨ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقَلاني الشافعي دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

(٤) أخرجه الإمام البخاري كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ج٣ص١٢٧٥.

اللّٰهُ عليه وسلَّم: «خيرُ الحديثِ كتابُ اللّٰهِ، وخيرُ الهدي هديُ مُحمَّدٍ[1]»، وذلك بتطبيقِه على كُلِّ ما أقومُ به مِن نَظراتٍ حولَ أحوالِ المسلمينَ في زماننا، كما استأنستُ في كثير من الأحيان بفهمِ وعملِ من تربى بمدرسةِ النبيِّ صلّى اللّٰه عليه وسلم من الصحابةِ الكرام رضوانُ اللّٰهِ عَليهم جميعاً، ثم مَنْ مشى على دربهم من التابعين لهم بإحسان.

واللّٰهَ أسألُ دائماً أن يجعلَني والمسلمينَ ممَّن قالَ فيهم: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزُمَر: ١٨).

وصلّى اللّٰهُ على سيِّدِنا محمّدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعينَ وعَلَينا معَهُم برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين.

وكَتَبَهُ:

الفقير إلى اللّٰه تعالى

د. عامر محمَّد نزار جلعوط

حماة - حماها اللّٰه -

في: ٥/ ١١/ ١٤٣٦هـ

الموافق ٢٠١٥/٨/٠٢ م

(١) بقية الحديث: (وشرُ الأمورِ مُحدثاتُها وكلُ بدعةٍ ضلالةٌ) أخرجه الإمام مسلمٌ كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة جـ٣ ص١١.

الخُطبةُ الأُولَى

الأمرُ بالمَعروفِ والنهيُ عن المُنكرِ وأثرُهُما على الأُمَّةِ

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أخرجه الإمامت لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران:١١٠).

وقال جلَّ جلالُه أيضاً: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٠٤).

أخرج الإمام مسلمٌ قالَ صلّى اللّٰهُ عليه وسلم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ؛ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ».

هذا ما ينبغي أنْ تُدركَهُ الأمَّةُ المسلمةُ؛ أنّها أُخْرِجت لتكونَ طليعةَ الأُمم، بما أنّها هي خيرُ أمَّةٍ؛ وذلك من خلال ما تُعطيه من الاعتقادِ الصحيحِ، والنظامِ الصحيحِ، والخُلُقِ الصحيحِ، والعِلمِ الصحيحِ.

يتبيَّنُ من هذا أنّ المنهجَ العامَّ الذي تقومُ عليه هذه الأمَّةُ يُطالبُها بالشيءِ الكثيرِ؛ ويدفعُها إلى السبْقِ في المجالات كافّةً.. لو أنّها تتَّبعُ مَنهجَها وتلتزمُ به، وتدركُ معانيه وأساليبَه قال اللّٰهُ تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥).

وقَالَ صلّى اللّٰهُ عليه وسلّم: «إنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ» أخرجه الإمام مُسلِمٌ.

أيُّها المسلمونَ: إنّ منهجَ الأمرِ المعروفِ والنهي عن المنكرِ مَنهجُ نجاةٍ وسَعادةٍ ورحمةٍ، وإنّ تركَ هذا المنهجِ يَسلكُ بالأُمَّةِ إلى عُقوباتٍ رَبّانيّةٍ تَنزلُ في حقِّ المُتخلِّفينَ عن طريقِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكَرِ.

أمّا دليلُ النَّجاةِ للأمّةِ المُصلحَةِ فهُو قولُ اللّٰهِ تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود:١١٦).

وأمّا دليلُ الرحمةِ: فقولُهُ تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٧١). وأما الإعراضُ عن منهجِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ فيؤدي إلى الطَّردِ من رَحمةِ اللّٰهِ، وإلى عقابِ اللّٰهِ، وحَجْبِ الدعاءِ) قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة:٧٨).

وعن حُذيفةَ بنِ اليمانِ: «وَالَّذي نَفْسي بيَدِه، لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ؛ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللّٰهُ أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» أخرجه الإمام الترمذي.

فَيا عَبْدَ اللّٰهِ: أبدأْ بِنَفْسِكَ، ثمَّ بأهْلِكَ، ثُمَّ بِمَنْ حَولَكَ، واجْعَلْ أمرَكَ بالمَعْرُوفِ حَالاً ومَقالاً قالَ اللّٰهُ تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه:١٣٢).

والحَمدُ للّٰهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ الثانية
(اعمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ)

قالَ اللّهُ تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة:١٤٨).

عن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رَضيَ اللّه عَنهُ قال: كان النبيُّ صلّى اللّهُ عليه وسلَّمَ في جَنازةٍ فأخَذَ شَيئاً فجَعلَ ينكُتُ به الأرضَ فقال: «ما منكُم من أحدٍ إلّا وقَد كُتبَ مَقعَدُه من النارِ ومَقعَدُه من الجَنَّة». قالوا يا رسولَ اللّه: أفلا نتَّكِلُ على كتابِنا ونَدَعُ العملَ؟ قال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيسَّرٌ لِما خُلِقَ لهُ أما من كان من أهلِ السّعادة فيُيَسَّرُ لعملِ أهلِ السعادة، وأمّا مَن كان من أهلِ الشقاءِ فيُيَسَّرُ لعَملِ أهلِ الشقاوة»، ثمّ قرأَ: ﴿فأمّا مَن أعطَى واتَّقى * وصَدَّقَ بالحُسنى﴾ أخرجه الإمام البُخاريّ.

عَبْدَ اللّه: عليكَ أن تتعرَّفَ على مَواهبكَ التي مَنحكَ اللّهُ إيّاها، فتوظِّفَها في بابها؛ سواءٌ كان علماً وعَملاً، أو مهنةً وصنعةً، فإنّ لكُلٍّ مَذْهَباً ومَشْرَباً ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ والناسُ أجناسٌ، فحَقٌ على العاقلِ أن يَمهَرَ فيما يُجيدُ، و (كُلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ لهُ)، ومَن يتدبَّرْ حياةَ الصحابةِ -رضيَ اللّه عنهُم جميعاً- يَجِدْ أنّ كُلَّ واحدٍ منهُم أجادَ في بابِه ومَيدانه وتخصُّصه.

فأبو بكرٍ الصديقُ رضيَ اللّه عنه برزَ في الخلافةِ والقيادةِ مع العَدلِ والإخلاصِ والصِّدق. وعُمَرُ الفاروقُ قويٌّ في ذاتِ اللّه، شديدٌ على أعدائه، عادلٌ في حُكمِه. وعُثمانُ ذو النُّورَين تاجرٌ، رحيمٌ، شفوقٌ، ذو تهجُّدٍ، وصدقاتٍ، وبِرٍّ، وحَياءٍ، ورِقَّةٍ. وعليٌّ الكرّارُ شُجاعٌ، حازِمٌ، خطيبٌ مصقعٌ،

نجيبٌ فقيهٌ، وأُبيّ بنُ كَعبٍ إمامُ القُرّاءِ، ومعاذُ بنُ جَبلٍ أفْقَهُ الأُمَّةِ بالحلالِ والحرامِ إمامُ العلماءِ، وخالدٌ بنُ الوليدِ سيفُ اللّهِ، رمزُ الأبطالِ، وعَبْدُ اللّهِ بنُ عبَّاسٍ تَرجمانُ القُرآنِ، وصاحبُ التأويلِ، وحسَّانُ بنُ ثابتٍ مُؤيَّدٌ بِروحِ القُدُسِ مُقدَّمُ الشُّعراءِ، وزيدُ بنُ ثابتٍ كبيرُ عُلماءِ الفرائضِ، وعَبْدُ الرَّحمنِ بنُ صَخْرٍ أبو هُريرةَ شيخُ الرُّواةِ رضيَ اللّهُ عن صَحابةِ رَسُولِ اللّهِ أجْمعينَ، وهكذا.

فاكْتَسِبْ مَعارِفَكَ بِنَفْسِكَ، بمَهارتِكَ، بتجارِبِكَ، بإتقانكَ للأعمالِ، بمباشرتكِ للحياةِ.

إنّ الكُتُبَ تُلقِّنُ الحِكْمةَ؛ لكنّها لا تُخرِّجُ الحُكماءَ، وإنّ الذين امتازُوا في العُلومِ والفُنونِ لم يتعلَّموا في المدارسِ فحسبُ؛ بل تعلَّمُوا في مَدرسةِ الحياةِ، ومَصنعِ الرِّجالِ.

فلا تظنّنَ أنّ النجاحَ سيُقدَّمُ لك هبةً، على طَبقٍ من ذَهبٍ؛ فإنّ أقبحَ نجاحٍ هو ما كانَ عن هبَةٍ. وأقبحُ النجاحِ نَصرُ الأغبياءِ بلا فَهْمٍ سوى فَهْمِ كَمْ باعُوا، وكَمْ كَسَبُوا؛ لكنّ النجاحَ الحقَّ الغالي هو ما حَصَلَ بجُهدٍ، وعَرَقٍ، ومشقَّةٍ، ودُموعٍ، ودِماءٍ، وسَهرٍ، وتَعبٍ، ونَصَبٍ، وتَضحيةٍ، وفداءٍ، وإنّ ألذَّ خُبْزٍ هُو ما حَصلَ بَعدَ عَرقِ الجَبينِ، وإنّ أهنأَ نومٍ ما كان بَعدَ تَعَبٍ، وإنّ أحْسَنَ شِبَعٍ ما سَبقَهُ جُوعٌ، وإنَّ الوَردَ لا يَفوحُ حتى يُعرَكَ، وإنّ العُودَ لا يزكو حتى يَحترِقَ. وإنّ الماءَ الراكدَ يأسَنُ، ويتغيّرُ طعمُه؛ لكنْ إذا جَرَى طابَ وعذُبَ فالعملَ العملَ، والبدارَ البدارَ في الليلِ والنهارِ قَبْلَ أن تنقَضيَ الأعمارُ.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة:١٠٥). والحمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ الثالثَة

أهميَّةُ العَملِ وواجباتُ العاملِ وحُقوقُه

قال اللّهُ تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧).

عَنِ الْمِقْدَامِ رضيَ اللّهُ عنهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ؛ وَإِنَّ نبيَّ اللَّهِ دَاوُدَ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

أيُّها المسلمون: لقد حثَّ الإسلامُ الحنيفُ على العملِ، وأوجبَه ومَدحَ أهْلَه بمواضعَ عديدةٍ في القرآنِ الكريمِ والسُّنَّةِ الشريفةِ، كما ذمَّ القاعدينَ والمتكاسلينَ عن طلبِ الرزقِ قالَ اللّهُ تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (المُلك:١٥).

وقال صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم: «مَن أمْسَى كالاً مِنْ عَمَلِ يديهِ؛ أمْسَى مَغفُوراً لهُ» أخرجه الإمام الطبرانيّ.

ولقد نهى أميرُ المؤمنينَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللّهُ عنه عن البَطالةِ فقال: «لا يَقعُدُ أحَدُكُمْ عَن طَلَبِ الرِّزقِ يقولُ: اللهُمَّ ارزُقْني؛ فَقَدْ عَلِمْتُمْ أنَّ السَّماءَ لا تُمطِرُ ذَهَباً ولا فِضَّة» وتلا قولَ اللّهِ جَلَّ وعَلا: ﴿فإذا قُضيت الصَّلاةُ فانْتَشِروا في الأرْضِ وابتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ واذْكُرُوا اللّهَ كثيراً لَعَلَّكُمْ تُفلحُون﴾ (الجُمعة:١٠).

أيُّها المسلِمُونَ: لقَد حثَّنا الإسلامُ الحنيفُ على تأهيلِ العُمَّالِ من خلالِ العلمِ؛ ومِن ذلك ما حَكاه القُرآنُ الكريمُ عن سيِّدنا يُوسُفَ عليه السلامُ حينَما قال: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف:٥٥). فقدَّمَ سيِّدُنا يُوسُفُ عليه السلامُ مؤهَّلاته العلميةَ؛ ومنها العِلمُ والبَصيرةُ بمصالحِ الناسِ.

وبمُقابلِ ذلك شجَّعَ الإسلامُ الحنيفُ على حُسْنِ اختيارِ مَن يقومُ بأداءِ العملِ؛ فعَنِ ابْنِ عبّاسٍ رضيَ اللّٰهُ عنهُما قال: قالَ رسولُ اللّٰهِ صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّم: «مَنْ استعمَلَ رجُلاً من عِصابَةٍ-جَماعَةٍ- وفي تلْكَ العِصابةِ مَن هو أرضَى للّٰهِ منهُ؛ فقَد خانَ اللّٰهَ، وخانَ رَسُولَهُ، وخانَ المؤمنينَ» أخرجه الإمام الحاكمُ في المستدْرَك.

أيُّها المسلِمونَ: يجبُ على أيِّ عاملٍ منَّا في الإسلامِ الحنيفِ أنْ يقومَ بأمورٍ عديدةٍ كاختيارِ العملِ المباحِ الذي أحلَّهُ اللّٰهُ ورسولُه، وإتقانِ العملِ بأمانةٍ ومسؤوليةٍ معَ إخلاصِ النيةِ للّٰهِ عزَّ وَ جلَّ في النَّصيحةِ، والوَفاءِ بالعُهودِ والوعودِ، والبُعدِ عن كُلِّ ما يُخلُّ بالعَملِ من فسادٍ شرعيٍّ؛ كالغُلولِ وحريفٍ كالغشِّ، واقتصاديٍّ كالاحتكارِ، فإنْ وَفَّى العاملُ ذلك العملَ؛ فعندئذٍ فمِنْ تَمامِ حقِّه أن يأخُذَ أجْرَه دُونَ مُماطلةٍ، أو بَخسٍ مع حقِّه في الراحةِ وأداءِ العِبادةِ باعتدالٍ وحَقِّه في الرِّعايةِ الصحيةِ والاجتماعيةِ، وإنْ لمْ يَقُمْ بواجباته فقَد حرَّمَ الإسلامُ عليه أن يُطالبَ بما يَظنُّ أنَّهُ من حُقوقه؛ فقَد قالَ رَسُولُ اللّٰهِ صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: «إنّ اللّٰهَ حرَّمَ عليكُمْ؛ عُقوقَ الأمَّهاتِ، ومَنعاً وَهاتَ، ووأْدَ البَناتِ، وكَرِهَ لكُمْ؛ قيلَ وقالَ، وكثرةَ السؤالِ، وإضاعةَ المالِ» أخرجه الإمامُ البُخاريُّ.

قال الإمامُ ابنُ حجَرٍ رَحِمهُ اللّٰهُ تعالى: والحاصلُ مِن النَّهي مَنْعُ ما أُمِرَ بإعْطائِه، وطَلَبُ ما لا يَسْتَحِقُّ أخْذَه[1].

فاتَّقُوا اللّٰهَ عِبادَ اللّٰهِ أينما كُنتُمْ مِن أعمالٍ، وتوكَّلُوا عليه، واطْلُبُوا الحلالَ تُرْزَقُوا، واحْذَروا مِن أن تأكُلُوا أموالَكُمْ بَينَكُمْ بالباطلِ؛ فأرزاقُكُمْ مَقْسُومَةٌ فاطلبُوها دُونَ مُجاوزةٍ لِحدُودِ ما أنزلَ اللّٰهُ قالَ رَسُولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّم: «إنَّ الرِّزقَ لَيطْلُبُ العَبْدَ كما يَطْلُبُه أجَلُهُ» أخرجه الإمام ابنُ حِبّانَ في صَحيحِه.

قالَ اللّٰهُ تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة:١٠٥). والحمدُ للّٰهِ ربِّ العالَمِينَ.

(١) فتح الباري جـ١٠ ص٤٠٦

الخُطبةُ الرَّابعَة

الغَبْنُ في الفَراغِ

قال اللّهُ تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر:١-٢-٣).

إخوةَ الإيمانِ والعَقيدة: كَثيرٌ منّا في خِداعٍ كبيرٍ تُجاهَ حياتِه- وليسَ هذا كَلامي-؛ وإنّما كلامُ الصادقِ الأمينِ مُحمَّدٍ صلّى اللّهُ عليه وسلّمَ؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عنهُما قَالَ: قَالَ النبيُّ صلّى اللّهُ عليه وسلَّمَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ». أخرجه الإمام البُخاريُّ؛ لِذا لا بُدَّ من اليَقظةِ والانتباهِ لاغتنامِ أُسُسِ الحياةِ الحقيقيَّة؛ فعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رضيَ اللّهُ عنهُما قالَ: قالَ رَسُولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وسلَّم لِرَجُلٍ وهو يَعِظُه: «اغتَنِمْ خَمْساً قبْلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وفَراغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وحَياتَكَ قَبْلَ مَوتِكَ» أخرجه الإمام الحاكمُ.

كَتبَ الصحابيُّ الجليلُ أبو الدَّرداءِ إلى الباحثِ عن الحقيقةِ الصَّحابيِّ سَلمانَ الفارسيِّ رضيَ اللّهُ عنهُما: «أمّا بَعدُ: يا أخي اغْتَنِمْ صِحَّتَكَ وفَراغَكَ مِنْ قَبْلِ أنْ يَنزِلَ بِكَ مِنَ البَلاءِ ما لا يَستطيعُ أحدٌ مِن النَّاسِ رَدّه». أخرجه الإمام البيهقيُّ.

أيُّها المسلمونَ: إنّ أوقاتَ العبْدِ أربعةٌ لا خامسَ لها: (النِّعمةُ، والبَليّةُ، والطَّاعةُ، والمعصيةُ) وللّهِ عليكَ في كُلِّ وقتٍ منها سَهمٌ من العُبوديَّةِ يقتضيه الحقُّ

منكَ بحُكْمِ الربُوبيَّة؛ فمَن كان وَقْتُهُ «الطاعةُ»؛ فسبيلُه شُهودُ المنَّة منَ اللّٰه عليه أنْ هَداهُ لها ووفَّقَهُ للقيام بها، ومَن كانَ وَقْتُهُ «المعصية»؛ فمُقتضى الحقِّ منهُ وُجودُ الاستغفارِ والنَّدم، ومَن كان وَقْتُهُ «النِّعمةُ» فسَبيلُه الشُّكْرُ؛ وهو فَرحُ القلبِ باللّٰهِ تعالى، ومَن كان وَقْتُهُ «البَليّة»؛ فسَبيلُه الرِّضا بالقضاءِ والصَّبْرِ.

وها هُمْ أبناؤنا وفلذاتُ أكبادنا في هذه الفترة من كُلِّ عام يُقبلُونَ على مَوسم عَظيم من مَواسم عُمُرِهِمْ؛ ألَا وهُو الإجازةُ الصَّيفيَّةُ التي تَمنحُ الطلبةَ فترةً ألماسيَّةً وذَهبيَّةً في حياتهم؛ ولكنْ مَن يُحسنُ منهُم التعامُلَ مع هكذا أوقاتٍ، ومَن منّا يَحرصُ عليهم بتعليمِهم علماً نافعاً، حرفةً تطبيقيةً، أو مَن يَحرصُ على نفْسه وعلى رأسِ مالِه؛ وهو عُمُرُهُ الذي يَمضي سَريعاً ولا ينتظرُ أحداً.

وعن عَبْدِ اللّٰهِ بنِ عُمَرَ رضيَ اللّٰهُ عنهُما قالَ: أخَذَ رسولُ اللّٰهِ صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ بمَنكبي فقالَ: «كُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غَريبٌ، أو عابرُ سَبيلٍ». وكان ابنُ عُمَرَ يقولُ: «إذا أمْسَيْتَ فلا تَنتظرِ الصَّباحَ، وإذا أصْبَحْتَ فلا تَنتظرِ المساءَ، وخُذْ مِنْ صحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَياتِكَ لِمَوتِكَ» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

فاتّقُوا اللّٰهَ عبادَ اللّٰهِ، واعلَمُوا أنّ اللّٰهَ تعالى جَعلَ عليكُم حُقوقاً في الأوقات؛ كالصَّلاة، والصِّيام، والزكاة، والصَّدَقات، والأضاحي.. يجبُ أداؤها في وَقْتِها، ويُمكنُ قَضاؤها لمَنْ فاتَتْهُ، وكُلُّ ذلكَ لأجْلِ أنْ يُعلِّمَنا أهميَّةَ المحافَظةِ على الأوقاتِ النَّفيسَة.

فَبادِرْ -حَبيبي في اللّهِ- واغتَنِمْ أوقاتَكَ ونَبضاتِ قلبِكَ بالطاعاتِ وطيبِ المعامَلاتِ. وتأمَّلوا مَعي في قَولِه تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (الأنبياء:١-٢-٣). وتذكَّروا دُعاءَ الفاروقِ عُمَرَ بنِ الخطّابِ رضيَ اللّه عنهُ: «اللهُمَّ إنّا نَسْأَلُكَ إصْلاحَ السَّاعاتِ، والبَرَكَةَ في الأوقاتِ»، اللهُمَّ آمينَ.

والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ الخامسَة

المَسؤوليَّةُ

قال اللّهُ تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَسْؤولُونَ﴾ (الصافات:٢٤).

وقال صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» أخرجه الإمام البخاري.

المسؤوليةُ هي التكليفُ الذي يَعقُبُه المحاسَبةُ، وكُلُّنا مَسْؤُولٌ من قِبَلِ ربِّ العالَمينَ قالَ اللّهُ تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء:٢٣). فهُو مالِكُ المُلكِ؛ يَفعلُ ما يشاءُ وهو الحكيمُ الخبيرُ.

أيُّها المسلِمُونَ: إنّ فَهْمَ المسؤوليَّةِ وتطبيقَ ذلك الفَهْمِ من أهمِّ الركائزِ والدَّعائمِ المهمَّةِ لنُهوضِ أيِّ أُمَّةٍ من الأُمَمِ، وحينما بَعثَ اللّهُ نبيَّنا مُحمَّداً صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ تحمَّلَ مسؤوليةَ إبلاغِ هذا الدِّينِ لهذه الأمَّة- أُمَّةِ الدعوةِ للعالَمينَ- وواجَهَتْهُ الصِّعابُ وثبَتَ وصَبرَ وقالَ قولَتَهُ المشْهُورةَ المدوِّيَة: «يَا عَمِّ، وَاللّه لَوْ وَضَعُوا الشّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتّى يُظْهِرَهُ اللّهُ، أَوْ أَهْلَكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ[1]».

وكذلك تحمَّلَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللّهُ عنهُ المسؤوليةَ بجَدارةٍ- في وَقْتٍ كادَ أن يُقتَلَ- حينما كَلَّفَه النَّبيُّ صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ أن يَمكُثَ في بَيتِه، وأنْ يَنامَ في سَريرِه؛ من أجْلِ أن يردَّ الأماناتِ إلى الناسِ. وأبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قالَ قولتَه المشهُورةَ بحَزمٍ بَعدَ وَفاةِ رَسُولِ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليهِ

(١) السيرة النبوية لابن كثير جـ١ ص٧٤. السيرة النبوية للامام أبى الفداء اسماعيل بن كثير ١٣٩٦هـ دار المعرفة.

وسلَّم: «ألَا مَن كانَ يَعبُدُ مُحمَّداً - صلّى اللّهُ عليه وسلَّمَ - فإنّ مُحمَّداً قَدْ ماتَ، ومَنْ كانَ يَعبُدُ اللّهَ فإنَّ اللّهَ حيٌّ لا يَموتُ» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

وأنتَ عَبْدَ اللّهِ مَسْؤُولٌ عن ذاتكَ بدايةً، ثُمَّ عمَّنْ حولَكَ، مَسؤولٌ عن قلبكَ، وجَوارحكَ، وعَقيدتكَ، وعبادتكَ، وسُلوككَ، ومُعاملاتكَ لا يُشاركُكَ في هذا أحدٌ قالَ اللّهُ تعالى: ﴿ولا تَقْفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسؤولاً﴾ (الإسراء:٣٦).

وسيُسألُ الإنسانُ عَمّا أُوتيَ من نعَمٍ، يقولُ سُبْحانَه: ﴿ثُمَّ لَتُسأَلُنَّ يَومَئِذٍ عَنِ النَّعيمِ﴾ (التكاثر:٨). والمسؤوليةُ الشَّخصيَّةُ لكُلِّ واحدٍ منّا تتمثَّلُ في العلاقةِ معَ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ، ثُمَّ مَع الناسِ؛ فأنتَ مَسؤولٌ عن نَفْسكَ أمامَ اللّهِ تعالى بألّا تَعصيه بها، وتؤدِّي من خلالها ما طَلَبَ منكَ من واجباتٍ، ومَسؤولٌ أمامَ الناسِ -أيضاً- بألّا تُؤذيَهُم بها، وأنْ تُوظِّفَ قُدُراتكَ في عَونهم وخدمة المجتمعِ، بصفَتكَ واحداً من المسلمة.

إنَّ علاقَةَ الإنسانِ مع اللّهِ وعلاقتَه مع الناسِ لن تَصلُحَ ما لم تَكُنْ صالحةً مع نفْسه؛ بحيث يكونُ سَويَّ السُّلوكِ يُراقبُ اللّهَ أوّلاً قبلَ أن يُراقبَهُ الناسُ؛ فتكونُ التَّقوى هي الموجِّهَ الأوَّلَ له، وليستقيمَ سُلوكُه عليه أن يُوازنَ بين مَطلَبَي النفْسِ الحسِّيِّ والمعنويِّ؛ فلا يَطغى أحدُهما على الآخَرِ؛ فللجَسَدِ حقوقٌ ينبغي ألّا يتجاهلَها الإنسانُ، وللفكْرِ والنفسِ حقوقٌ كثيرةٌ؛ ومن أهمِّها المعرفةُ الحقَّةُ التي تقودُ إلى تصحيحِ العلاقةِ مع اللّهِ والناسِ، فكان أوَّلُ تكليفٍ للإنسانِ في القرآنِ الكريمِ ﴿اقْرأ باسْمِ ربِّكَ الذي خَلَقَ﴾ (العَلَق:١).

وإذا وَجدتَ أنّ علاقَتكَ مع اللّهِ يَشوبُها النقْصُ، وعلاقتَكَ مع الناسِ يَشوبُها الأذى؛ فاعْلَمْ أنَّكَ مُقصِّرٌ، وتَتَحمَّلُ مَسؤُوليَّتكَ أمامَ اللّهِ[1]، وسَيسألُكَ عن ذلكَ؛ فَصَحِّحِ الطريقَ وابْدأْ مِن نَفْسِكَ وسُلوكِكَ، وتَعلَّمْ مَا تَسْتَطِيعُ مِنْ خِلاَلِهِ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الصَّوابِ والخَطَأ، واسْأَلْ نفسَكَ قبلَ أن تُسألَ قالَ اللّهُ تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ (الأعراف:٦)، والحمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

(١) بدليل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللّه إذا أحبَّ عبداً دعا جبريلَ، فقال: إني أحبُّ فلانا فأحبَّه، قال: فيُحبُّه جبريلُ، ثم ينادي في السماء، فيقول: إنَّ اللّه يحبُّ فلاناً فأحبُّوه، فيحبُّه أهل السماء، ثم يوضَعُ له القَبُولُ في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريلَ عليه السلام، فيقول: إني أُبْغضُ فلاناً فَأَبْغضْه، قال: فَيُبْغضُه جبريلُ، ثم ينادي في أهل السماء: إنَّ اللّه يُبْغضُ فلانًا فأبغضوه، ثم تُوضَعُ له البغضاءُ في الأرض» أخرجهَ مسلم.

الخُطبةُ السَّادسَةُ

الاستِقامةُ

قال اللّٰه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأحقاف:١٣-١٤).

عن سُفيانَ بنِ عبدِ اللّٰهِ رضيَ اللّٰه عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ، قُلْ لي في الإسْلامِ قَولاً لاَ أسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً بعدك. قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللّٰهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ» أخرجه الإمام مسلم.

أيُّها المسلمون: الاستقامةُ أعظمُ ما مَنَّ اللّٰهُ تَبارَكَ وتعالى به على العبادِ، وهي وَحدَها الزادُ ليَومِ المعادِ، أمرُ اللّٰهُ بها النبيَّ مُحمَّداً وأمرَ بها المؤمنينَ فقالَ سُبْحانَه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود: ١١٢). أيّ: اسْتَقِمْ أنْتَ وَهُمْ.

قَالَ عَبْدِ اللّٰهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في هذه الآية: مَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ آيَةٌ أَشَدُّ وَلَا أَشَقُّ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ قَالُوا لَهُ: قَدْ أَسْرَعَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ فَقَالَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا» أخرجه الإمام الطبراني.

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (فصلت: ٦).

والاستقامةُ هي الثباتُ على دينِ اللّهِ الواحدِ الأحدِ، ولُزومُ طريقِ الطاعاتِ في العباداتِ والمعاملاتِ دونَ انحرافٍ عنها إلى المعاصي، فلا يَنحرفُ العَبْدُ مع الأهْواءِ والشَّهواتِ، وتعظيمُ أوامرِ اللّهِ تعالى بالمسارَعةِ إلى امتثالِها، وتعظيمُ نواهي اللّهِ عزَّ وجلَّ بالبُعدِ عنها واجتنابِها، والتوبةِ منها فَوْرَ حُدُوثِها، وكُلُّ ذلكَ مع الإخلاصِ للّهِ عزَّ وجلَّ، والخوفِ ألّا تُقبَلَ.

وهي أيضاً: الاعتدالُ والمضيُّ على النهجِ دونَ انحرافٍ، وهو في حاجةٍ إلى اليقظةِ الدائمةِ، والتدبُّرِ الدائمِ، والتحرِّي الدائمِ لحدُودِ الطريقِ، وضَبْطِ الطريقِ، وضَبْطِ الانفعالاتِ البشريةِ التي تَميلُ الاتجاهَ قليلاً، أو كثيراً؛ ومِنْ ثَمَّ فهي شُغُلٌ دائمٌ في كُلِّ حركةٍ من حركاتِ الحياةِ يعملُ المسلمُ فيها لنفْسِه، ويُقدِّمُ لآخرتِه ما ينفعُه. وقد جعلَ اللّهُ ثوابَ الاستقامةِ أعظمَ الثوابِ، وأمَّنَ صاحبَها من العذابِ والحُزنِ وآنسَهُ يومَ مُفارَقةِ الدُّنيا، وجَعلَ تركَها سَبباً في الحرمانِ من الأرزاقِ.

قالَ اللّهُ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٠- ٣٢).

قالَ اللّهُ تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ (الجن: ١٦).

ولا تنسَ أُخَيَّ أنّ الإنسانَ المستقيمَ في عَملِه يُحبُّهُ الناسُ، ويُقبِلُونَ على التعامُلِ مَعهُ؛ بخلافِ المتلوِّنُ المخادِع.

اللهُمَّ يا ربُّ أنتَ ربُّنا فارزُقْنا الاستقامةَ. والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ السَّابِعَة

التَّدخِينُ

قال اللّٰه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٨). ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩). عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّٰه عنها قالت: «نَهى رَسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليهِ وسلَّمَ عنْ كُلِّ مُسْكِرٍ ومُفْتِّرٍ» أخرجه الإمام أبو داودَ.

أيّها الإخوةُ: من الأمراضِ التي ابتُلِيَ بها مجتمعُنا –ويا للأسف– هذا الدُّخَانُ الخبيثُ الذي فشَى شُربُه في الصِّغارِ والكبارِ، وصارَ شُرّابُه يُضايقُونَ به الناسَ، ويُؤذونَ برائحتِه الكريهةِ المنفِّرةِ الأبرياءَ من غيرِ خجلٍ ولا حياءٍ؛ وحتّى في شهرِ الصومِ الكريم.

أيُّها المسلمُونَ: إنّ شُربَ الدُّخَانِ مُناقضٌ للدِّينِ، مُتْلِفٌ للبدنِ، مُحرِقٌ للمالِ، مُفسِدٌ للمُجتَمَعِ، ومُخرِّبٌ لاقتصادِ الأُمَّةِ، ومَعلُومٌ أنّ نوعاً واحداً من هذه المضارِّ كافٍ لليقظةِ والاعتبارِ، وأُذكِّرُ ببعضِ أضرارِه على البدنِ؛ فهُو يُضعِفُه بوَجهٍ عامٍّ، ويُضعِفُ القلبَ، ويُسبِّبُ سَرطانَ الرِّئةِ والسِّلَّ والسُّعالَ المزمِنَ والأمراضَ الصدريَّةَ المستَعصيةِ، ويُضعِفُ العقلَ، ويُسبِّبُ لعقلِ الإنسانِ خفَّةً ورعونةً وطيشاً وهذا (واقعٌ مُشاهدٌ ومحسوسٌ وملموسٌ)، ولا يُكابِرُ فيه إلّا جاهلٌ مركّبٌ أو جاحدٌ مُكابِرٌ. وتأمَّلُوا في المجَنِ عندما يُفتَقَدُ الدُّخانُ، ويُسبِّبُ صُداعَ الرأسِ، ويُقلِّلُ شهوةَ الطعامِ، ويُفسِدُ الذَّوقَ السليمَ والمزاجَ الطبيعيَّ، ويُفتِّرُ المجموعَ العصبيَّ، إضافةً إلى الأرَقِ، والقَلَقِ،

والتَّحَسُّس، والكآبة، ووَهَن الإرادة، وضَعف الذَّاكرَة، ويكفي من أضراره الماليَّة أنّه: تبذيرٌ للمال)، وأنّه: مُتسبِّبٌ فيما سَمعتَ من أمراضٍ، وهذه تحتاجُ إلى أموالٍ كبيرةٍ في علاجها، وقد لا يتمُّ ذلكَ لأصحابها وقد قالَ اللّهُ تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٧)؛ فالدُّخَانُ والشَّيطانُ أخوانِ خائنانِ. وقد قال سيِّدُ الخلقِ وحَبيبُ الحقِّ نبيُّنا محمَّدٌ صلَّى اللّهُ عليه وسلم: «مُدمنُ الخَمرِ كَعَابدِ وَثَنٍ» أخرجه ابن ماجة.

وتأمَّلْ كيف أنّ المدَخِّنَ مُدْمِنٌ؛ وكأنّه عاكفٌ على لُفافةٍ ملعونةٍ، أو نرجيلةً نَتِنَةٍ.. وكَفَى بها من عادةٍ سيِّئةٍ، وسُلوكٍ ذَميمٍ.

وإنَّ من أهمِّ أسبابِ انتشارِ التدخينِ الجهلَ البسيطَ، والجهْلَ المركَّبَ بحُكْمه وبأضراره، إضافةً إلى وَسْوسة الشيطانِ، وتزيينِ رُفقاءِ السُّوءِ؛ وتفاصُحِ المتَعالِمينَ - خاصَّةً إذا كانوا يتعاطَونَ الدِّخانَ- فإنّهم يُؤثِّرونَ فيمَنْ يُربُّونَهُم، كما أنّ من أسبابه عدمَ المراقبةِ للّهِ تعالى والفراغَ والخواءَ الرُّوحيَّ، وحُبَّ المغامرَةِ والتقليدِ الأعمى، وضَعفَ مُراقبةِ الأسرةِ؛ بل إنّ بعضَ الأُسَرِ هي سببٌ في تدخينِ أولادِهم وبناتِهم- فلذاتِ أكبادِهم، ورَياحينِ قُلوبِهم.

أخي في اللّهِ تعالى، أخي في الإنْسانية؛ هل أنتَ من مَعاشرِ المدخِّنين؟! أسألُ اللّه تعالى ألّا تكونَ منهُم، أمّا إنْ كُنتُ منهُم؛ فاعلَمُوا أنَّكُم جميعُكُم بأوجُهِ خُطورَتِه وحُرمَتِه مُقتَنِعُونَ، وإذا سُئلتُم أو عُوتبتُم قُلتُم: «ادعُوا اللّه لنا أن يُعافِيَنا ويُنقِذَنا»، واللّه أسألُ أنْ يُعافيَكُمْ؛ ولكنْ للتذكرَةِ؛ فالتدخينُ مُحرَّم شَرعاً وعَقلاً وذَوقاً، وبهذا جَزَمَ أهلُ العِلْمِ في سائرِ الأمصارِ، كما أُحِبُّ أنْ

أنَّبِهَ إلى أنّ الأركيلةَ-النرجيلة، القاتَ، الحشيشَ..- تأخُذُ الحكَمَ نفْسَه في الحرمة لِمَنْ يتعاطاها؛ فلا يَجوزُ شُربُها ولا اقتناؤها، وكما يَحرُمُ شُربُ الدُّخانِ يَحرمُ بيعُه والاتِّجارُ به واستيرادُه؛ فثَمَنُه سُحتٌ، والاتِّجارُ به مَقْتٌ، وقد قالَ نبيُّنا مُحمَّدٌ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: «إنّ اللّٰهَ إذا حَرّمَ على قَومٍ أكْلَ شَيءٍ حَرّمَ عليهم ثَمنَه» أخرجه الإمام أحمدُ. فيا مَن ابتُليتَ بشُربِ الدُّخانِ إنّني أدعوكَ بدافعِ النَّصيحةِ الخالصَةِ للّٰهِ عزَّ وجلَّ أنْ تُبادرَ بالتَّوبةِ منه والإعراضِ عَنهُ وهَجْرِه، وتذكَّرَ أنّ الوقايةَ الصحيحةَ تكمُنُ باليقظةِ إلى الأسبابِ، وأنّ التغييرَ يبدأُ من داخلِ قلبكَ؛ بالإرادةِ، وإعمالِ العقلِ مع إخلاصِ النِّيَّةِ للّٰهِ عزَّ وجلَّ في الترك؛ من أجلِ اللّٰهِ الذي سَيراكَ، ويَعلَمُ ما تُخْفي وما تُعلنُ، ومَن ترَكَ شيئاً للّٰهِ عوَّضَهُ اللّٰهُ خيراً منه، واستشْعِر التحدِّيَ والمبارزةَ، وأثبتْ رُجولَتكَ مع نَفْسِكَ، ومع مَن حَولَكَ، ومَع الذينَ يَبْحَثُونَ عن المالِ من جَسَدكَ وقُوت عيالكَ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء:٢٧-٢٨). والحمدُ للّٰهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ الثامنَة

الزَّلازِلُ

قال اللّٰه تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (الإسراء:٥٩). أخرج الإمام ابنُ حبَّانَ عن علقمةَ قال: «زُلزِلَتُ الأرضُ على عَهْدِ عبدِ اللّٰه- أيَّ ابنَ مَسعودٍ- قالَ: «إنّا كُنّا نَرَى الآياتِ مَع رَسولِ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وسلَّمَ عن بركاتٍ وأنتُمْ تَرَوْنَها تخويفاً». وقال قتادةُ: «إنّ اللّٰه تعالى يُخَوِّفُ الناسَ بما شاءَ من الآياتِ؛ لعلَّهُمْ يَعتبِرُونَ، ويَذَّكَرونَ، ويَرجِعُونَ[1]».

أحبّتي في اللّٰهِ: ينبغي على المؤمنينَ أن يَحذَرُوا من (ظُهورِ الخَبَث)؛ ألا وهُو كَثرَةُ المعاصي، والفُسوقِ، والمجاهَرةِ بذلكَ؛ لأنّ ذلكَ سيُهلكُ الناسَ- وإنْ وُجِدَ بينهُمِ الصالحُونَ- فقَد أخرج الإمام التِّرمذيُّ عَنْ عَائشَةَ أُمِّ المؤمنينَ -رضيَ اللّٰه عنها وعَن أبيها الصِّدِّيقِ- قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه: «أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟!».

قَالَ: «نَعَمْ إِذَا ظَهَرَ الْخَبَثُ» فإذاً: لا بُدَّ من المصلحينَ حتّى لا يتغيَّرَ ما عندَ العبادِ من نعَمٍ إلى حالِ النِّقَمِ من خلالِ الآياتِ والعُقوباتِ الرَّبَّانيَّةِ قال اللّٰه عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (الرعد:١١)؛ فاللّٰه سُبحانَه وتعالى يُجري الآياتِ والعُقوباتِ المروِّعةَ لِيَنْتَبِهَ العبادُ لأنْفُسِهِمْ، ويُصلِحُوا من أعمالِهم؛ فإذا لَم يَتوبُوا، ولَم يُغيِّروا؛ فإنّ اللّٰه يَزيدَهُم من البلاءِ والفتَنِ، ويَستَدرِجُهُمْ من النِّعَمِ ثُمَّ يأخُذُهُمْ على غرَّةٍ قال عَزَّ من قائلٍ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري جـ١٧ ص٤٧٨

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:٤٢ إلى٤٥).

فهذه سُنَّةُ اللّه في الأوَّلينَ والآخرينَ أنَّهم إذا خالفُوا أمرَه فإنّ اللّه تعالى يُعاقبُهم، ويُنزلُ عليهم ما يَكرَهُونَ حتّى يَرجعُوا إليه؛ فإنْ لَم يَتوبُوا استَدرَجَهُم ثُمَّ أخَذَهُم أخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدرٍ.

فواجبٌ علينا أنْ نتوبَ إلى اللّهِ تعالى، وأن نُحاسبَ أنفسَنا، وأنْ لا نتمادى في غَفلتنا بالمعاصي، وإعراضنا عن الطاعات.

فاتَّقُوا اللّه: وتذكَّرُوا أنَّ التخويفَ والوعيدَ إنّما هو إنذارٌ وتحذيرٌ؛ فقد أخرج الإمام البيهقيُّ أنّ الأرضَ قد زُلزلَتْ على عَهد عُمَرَ بن الخطَّاب رَضيَ اللّه عنهُ حتّى اصطَفَقَت السُّرُرُ؛ وابنُ عُمَرَ يُصلِّي فلَمْ يَدْرِ بها، ولم يُوافقْ أحداً يُصلِّي فَدَرَى بها؛ فخَطَبَ عُمَرُ الناسَ فقالَ: «أحْدَثْتُمْ؛ لَقَد عَجِلْتُمْ»، وفي روايةٍ: «يا أهلَ المدينةِ، ما أسرعَ ما أحدَثْتُمْ؛ لئِنْ عادَتْ لأخرجه منْ بينِ ظَهرانيكُمْ».

وإذا وَقعَ البلاءَ بالزلازلِ أو غَيرها من النَّكبات فيُستَحَبُّ لأفرادِ الأُمَّة أنْ يُقدِّمُوا العَونَ والمساعَدةَ لبَعضهم في الأزمات، وأداءُ هذا الأمرِ هو للأقْرَب فالأقْرَب من مكان الأزمة، وإذا ما كانت الأزمةُ يُخشَى منها على حَياة الناس وأرواحهم فينقلبُ الحُكْمُ من الاستحباب إلى الوجوب قالَ اللّه تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال:٢٥).

والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبَةُ التاسعَة

ضَبْطُ اللِّسانِ

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد﴾ (ق:١٨).

وعن سُفيانَ بنِ عَبْدِ اللّٰهِ الثَّقَفيِّ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه مُرْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِه، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلَّى اللّٰهُ عليه وسلّمَ: «قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه: فَمَا أَكْبَرُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟

قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّه صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ بِلِسَانِ نَفْسِه، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا وَهَكَذَا» أخرجه الإمام التِّرمذيُّ.

أيّها المسلمُونَ: إنّ اللسانَ من نعَمِ اللّٰهِ العظيمةِ به نَدْخُلُ للإسلامِ الحنيفِ، وبه تَتمُّ كثيرٌ من العباداتِ، والعُقودِ، والمعاملاتِ؛ لكنَّه رَحَّبَ في عَمله ليسَ لَهُ حُدودٌ؛ كالسَّمعِ، أو البصرِ؛ فمَن أطلقَهُ وأهملَهُ سَلَكَ به الشيطانُ في كُلِّ ميدانٍ، وسَاقَهُ إلى شَفا جُرُفٍ هارٍ إلى أن يُضْطَرَّهُ إلى البَوارِ.

أيُّها الإخْوَةُ: إنَّ مَرَضَ آفاتِ اللسانِ معولٌ هدَّامٌ في الإيمانِ والأخلاقِ، ومُشكلَةٌ اجتماعيةٌ تُلقي آثارَها السيِّئةَ على (علاقاتنا الأسرية وأسواقنا التجاريّة)، واللسانُ الجارحُ يقضمُ الحسَناتِ صُعوداً، ويَمضَغُ الصالحاتِ نُزُولاً؛ قال اللّٰهُ تعالى في وَصْفِ أهلِ الجَنَّة: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ (الحج: ٢٤).

بينَما قال في وَصْفِ أهلِ النَّار: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ (الأعراف: ٣٨).

عن أنسٍ رضيَ اللّٰهِ عنهُ قال: قالَ رَسُولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليهِ وسلَّم: «لاَ

يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ» أخرج الإمام أحمدُ.

أيُّها الإخْوةُ: إنّ آفات اللسان كبيرةٌ؛ فمنها (الْكَذِبُ، الغيبةُ، النَّميمةُ، الْيَمِينُ الْغَمُوسُ، الْقَذْفُ، اللَّعْنُ، الْهَمْزُ، اللمْزُ، الْفُحْشُ، السُّخْرِيةُ، سَبّ الدِّينِ، التَّنَابُزُ بِالأَلْقَابِ، وكَثْرَةُ الحَلِفِ في البيعِ والشراءِ..).

مِن هُنا نستطيعُ أنْ نَفْهَمَ الحديثَ الشريفَ الذي جاء عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ رضيَ اللّٰه عنهُ -مَوقُوفاً ومَرفُوعاً-: (إذا أصبحَ ابنُ آدمَ فإنّ الأعضاءَ كُلَّها تُكَفِّرُ اللِّسَانَ- أيّ تتذلَّلُ وتتواضَعُ لهُ – فتَقُول: اتَّقِ اللّٰه فينا؛ فإنَّما نَحْنُ بِكَ؛ فإنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنا، وإنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا) أخرجه الإمام التِّرمذيُّ.

مَطلُوبٌ مِن كُلِّ واحدٍ فينا أن يَضْبِطَ لِسانَهُ؛ حتّى لا يكونَ جارِحاً مُؤذِياً خارِجاً عن تعاليمِ الشريعةِ السَّمحة. ومَطلُوبٌ مِن كُلِّ كَبيرٍ أن يكونَ كَبيراً بِسُلطانه على لِسانه؛ فلَيسَ من المَقْبُولِ شَرعاً ولا عُرفاً أن نَعتَني بالمَظْهَرِ الخارجيِّ، ولِيَكُونَ حَسَناً، ولا نعتنِيَ بِكلامنا لِيَكُونَ حَسَناً.

وممَّا يُعِينُكَ على ضَبْطِ لِسانكَ العِلْمُ والتعلُّمُ بآفاتِه، وكذلك كَثْرَةُ ذِكْرِ اللّٰهِ تعالى؛ حتى تستشعرَ أنَّ اللّٰه تعالى معكَ يَسْمَعُ ويرى كما أنّ صُحْبَةَ الصالحينَ؛ لِتتطَبَّعَ بِحُسْنِ أقوالِهم وجميلِ أحاديثِهم. وإذا ما اقتَرَنَ ما سَبَقَ مع مُجاهدةِ النفْسِ بِتَدْرِيبِها على لُزُومِ الصَّمْتِ وقلّة الكلام نجوتَ من شرّه).

قال رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: «مَنْ كانَ يُؤمِنُ باللّٰهِ واليَومِ الآخِرِ؛ فَلْيَقُلْ خَيْراً أو لِيَصْمُت» أخرجه الإمام البُخاريُّ. والحَمدُ للّٰهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطْبةُ العاشرةُ

الحَسَدُ

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ (النساء:٥٤).

أخرجه الإمام مُسلِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللّٰهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: «لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّه إِخْوَاناً».

أَيُّها المُسلِمُونَ: إِنَّ حَدِيثَنا اليومَ عَنْ دَاءٍ عُضَالٍ، وَمَرَضٍ قَلْبِيٍّ كَبِيرٍ؛ إِنَّهُ مَصدرٌ كبيرٌ من البَلاءِ وَالعَدَاءِ، إِنَّه تَمَنٍّ لِزَوَالِ نِعْمَةِ اللّٰهِ عَنِ الناس، وَكَرَاهَيَةُ وُصُولِ الخَيْرِ لَهُم، إِنَّه الحَسَدُ؛ دَاءُ الأُمَمِ، وَمَرَضُ الشُّعُوبِ كما قَالَ النبيُّ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ _أيّ: سَرَى فِيكُمْ_ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ» أخرجه الإمام التِّرمذيُّ.

أَيُّها المسلِمُونَ: لا بُدَّ من مُعالَجةِ الحسدِ بدايةً بِمَعرفةِ ضَرَرِه على صاحبِه قبلَ غَيرِه؛ فقَد أخرج الإمام أبو داودَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النبيَّ -صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ- قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ؛ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»؛ لأنّ الحاسدَ يَدْفَعُهُ حَسَدُهُ إلى مَعصيةِ اللّٰهِ عزَّ وجلَّ؛ فالحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللّٰهُ بِه، فَمَا الذي أَوْقَعَ إِبْلِيسَ في مَعْصِيَةِ اللّٰهِ إلاَّ حَسَدُهُ لأبِينَا آدَمَ عليه السَّلامُ: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (ص:٧٦).

وَمَا الذي حَمَلَ قَابِيلَ عَلَى قَتْلِ أَخِيهِ هَابِيلَ إلاَّ الحَسَدُ: ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة:٣٠).

وَمَا الذي حَمَلَ إِخْوَةَ يوسفَ عليه السلامُ عَلَى مَا فَعَلُوا بِيوسُفَ إلاَّ الحَسَدُ: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف:٨).

فَانْظُروا كَيْفَ حَمَلَ الحَسَدُ صَاحِبَهُ عَلَى الكُفْرِ وَالقَتْلِ، وَعَلَى المكْرِ والتَّسَخُّطِ لِقَضَاءِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَ الذي يُعطِي مَن يشاءُ كيفَما يشاءُ؟!؛ لذا فإنّ النبيَّ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم قالَ: «لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا» أخرجه الإمام الطبَرَانيُّ. وقالَ صلى اللّه عليه وسلم: «وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ؛ الْإِيمَانُ، وَالْحَسَدُ» أخرجه الإمام النسائي.

فاحْذَرُوا على أَنْفُسِكُمْ من الحَسَدِ فأهْوَنُ خصاله تَرْكُ الرِّضَاءِ بحُكْمِ اللّهِ تعالَى، وتَذَكَّرُوا الرَّحِيلَ عن الدُّنيا بالموت، وتَعَوَّذُوا باللّهِ تعالى من شَرِّ حاسدٍ إذا حَسَدَ؛ لأنَّ (العَيْنَ حَقٌّ) أخرجه الإمام البخاري. وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ النبيُّ -صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ- يَعُودُنِي فَقَالَ لي: «أَلاَ أَرْقِيكَ بِرُقْيَةٍ جاءَني بِهَا جِبْرَائِيلُ».

قُلْتُ بأبي وأمِّي: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه.

قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِيكَ؛ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. أخرجه الإمام ابن ماجة.

وتَذَكَّرُوا أَنَّكُمْ مَحْسُودُونَ حتّى على دِينِكُمْ، والحاسِدُونَ يَعمَلُونَ ليلَ نهارٍ لإفسادِ الدِّينِ في نُفُوسِكم.

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة:١٠٩).

والحَمدُ للّٰهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ الحاديةَ عَشرَ

الكُرُباتُ

قالَ اللّهُ تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢١٦).

هل رأيتُمْ؛ بلْ هل سَمِعتُمْ بإنسانٍ على وَجْهِ هذه الأرضِ لم يُصَبْ بمُصيبةٍ صَغُرَتْ أمْ كَبُرَتْ؟ بالتأكيدِ لا؛ لكنْ إذا نَزَلَتِ الكُرَبُ؛ فثَمَّةَ طُرقٌ وضّاءةٌ تهدي إلى شاطئِ السلامةِ ينبغي للعَبدِ أن يَستعينَ بها، ومِن هذه الطُرقِ الرَبَّانيَّةِ النُّورانيَّةُ:

١- التأمُّلُ والتدبُّرُ في كتابِ اللّهِ جلَّ وعَلا وسُنَّةِ نبيِّه مُحمَّدٍ صلّى اللّهُ عليه وسلَّمَ؛ ففيهما ما تقرُّ به الأعينُ، وتَسكُنُ به القُلوبُ، وتطمئنُّ لهُ تَبَعاً لذلكَ الجوارحُ ممَّا مَنحَهُ اللّهُ، ويمنحُه لمنْ صَبرَ ورَضيَ، واحتسبَ من الثوابِ العظيمِ والأجْرِ الجزيلِ؛ فَعلَى سبيلِ المثالِ قولُه تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة:١٥٦). أبلغُ علاجٍ وأنفعُه للعَبدِ في آجلِه وعاجلِه؛ فإذا ما تحقَّقَ العَبدُ أنّ نفْسَه، ومالَه، وأهلَه، وولَده) ملْكٌ للّهِ عزَّ وجلَّ قد جَعلَها عندَه عاريَّةً فإذا أخذَها منهُ فهُو كالمُعيرِ يأخذُ عاريَّته من المستعيرِ فهَل في ذَلكَ ضَيرٌ؟!

وتأمَّلُ أُخيَّ أيضاً في قولِه تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل:٦٢)؛ فادعُ ربَّكَ عزَّ وجلَّ، وتوكَّلْ عليهِ سُبحانَه وتعالى.

وتفكَّرْ في مَعاني قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد: ٢٢-٢٣). فَكُلُّ شيءٍ مُقدَّرٌ ومَكتوبٌ.

وانظرْ مَعي في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥). تَرَ أنّ الدُّنيا فانيةٌ، وكُلَّ ما فيها يتغيَّرُ ويَحُولُ، يَفْنَى ويَزُولُ.

٢- العلمُ اليقينيُّ أنّ الجزَعَ لا يَرُدُّ المصيبةَ؛ بلْ يُضاعفُها، أمّا إذا ما احتسَبَ المصابُ وصبرَ ورضيَ؛ أخْزَى شَيطانَه وأرضَى رَبَّه، وسَرَّ صَديقَهُ، وسَاءَ عدُوَّهُ.

٣- العلمُ بتفاوتِ المصائبِ؛ فإنْ كانت المصيبةُ بعيدةً عن الدِّينِ فهيَ هيِّنةٌ؛ لأنّ المصيبةَ في الدِّينِ هي أعظمُ مُصيبةٍ، ومصائبُ الدُّنيا كذلكَ تتفاوتُ؛ فإذا ما حصّلْتَ الأدنى من المصائبِ فتسلَّ بذلكَ عمّا هُو أعلَى وأعظمُ، واحمَدِ اللّهَ على ذلكَ.

٤- تذكَّرْ ما في البلاءِ من لطائفَ؛ فهيَ تُذكِّرُ العبْدَ بذُنوبه؛ فربَّما تابَ إلى اللّهِ عزَّ وجَّل، وتُزيلُ قَسوةَ القلبِ مع حُدوثِ رِقَّةِ القلبِ، وانكسارِ العبدِ للّهِ عزَّ وجلَّ؛ وذلكَ مُلاحظٌ في المصائبِ، والبلاءُ يُوجبُ للعبدِ الإقبالَ على الخالقِ؛ فالمشركُونَ -وهُمْ مُشْركُونَ- حكَى اللّهُ عنهُم إخلاصَ الدُّعاءِ عندَ الشدائدِ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (العنكبوت ٦٥). فكيفَ بالمؤمنينَ؟

فيا مَن رأيتُمُ البلاءَ عليكُم مِن اللّهِ تعالى الرَّحماتِ، وجعلَ اللّهُ مُصابَكُمْ في الباقياتِ الصالحاتِ، وأمَّنكُم مِن الفَزَعِ يومُ تُنشَرُ السِّجِلاّتُ, وكتبَ لنا السعادةَ في الحياةِ والبَرْزخِ وبعدَ المماتِ. والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمِينَ.

الخُطبةُ الثانيةَ عَشرَ

الشَّبابُ

قالَ اللّهُ تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف:١٣).

قال رسولُ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه وسلّمَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللّهُ في ظِلِّه -يَومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّهُ- وثاني هَؤلاءِ السَّبْعة: شابٌّ نشأَ في عِبادةِ اللّهِ» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

أيُّها المسلِمُونَ: لقَد أولى الإسلامُ العظيمُ الشبابَ عنايةً عظيمةً فائقةً في آياتٍ كريمةٍ وأحاديثَ شَريفةٍ ومواقفَ مُشَرِّفةٍ؛ فهُمْ (مَوردٌ بَشريٌّ كبيرٌ، وعِمادٌ اقتصاديٌّ عظيمٌ، ودِرعٌ حَيويٌّ حَصينٌ).

وهلْ كان أكثر أصحابِ النبيِّ مُحمَّدٍ صلّى اللّهُ عليه وسلَّم -الَّذينَ نَشرُوا هذا الدِّينَ في مشارقِ الأرضِ ومَغاربِها- إلّا شباباً؟!

كانُوا شبابَ الإسلامِ، وشبابَ القُرآنِ، وشبابَ العلمِ النافعِ، وشبابَ العبادةِ، وشبابَ الدَّعوةِ إلى اللّهِ وشبابَ الخُلُقِ الحَسَنِ، وشبابَ العملِ، وشبابَ الحضارة؛ كابنِ الزُّبيرِ، وابنِ عبَّاسٍ، وأبي هُريرةَ، وابنِ عُمَرَ، وأسامةَ بنِ زَيدٍ، وأنَسِ بنِ مالكٍ، والحَسَنَ والحُسينِ رضيَ اللّهُ عنهُم أجمعينَ.

هؤلاءَ هُم طليعةُ الشبابِ الذينَ حثَّ الإسلامُ على أنْ نقتدِي بهِم.

إنّ الشَّبابَ مرحلةٌ هيَ مِن أخطرِ مراحلِ الحياة؛ لأنّها مرحلةُ قوَّةٍ بين ضَعفَين؛ ضَعفِ الطُّفولة، وضَعفِ الشَّيخُوخة، ولَمّا كان الشبابُ مِن العُمُر- وسيسألُ الإنسانُ عن عُمُرِه-؛ فإنّ رسولَ اللّهِ خَصَّ الشبابَ في قولِه: «لا تَزُولُ قَدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتّى يُسألَ عن أربعٍ، وذَكَرَ منها: وعَن شَبابِه فِيمَ أبْلاهُ؟» أخرجه الإمام الترمذي.

وفي حديثٍ آخرَ أنّ النبيَّ صلّى اللّهُ عليه وسلَّمَ قال: «اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: حياتكَ قبلَ مَوتكَ، وصحَّتَكَ قبلَ سَقمكَ، وشَبابكَ قبلَ هرَمكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَراغَكَ قبلَ شُغْلِكَ» أخرجه الإمام التِّرمذيُّ؛ لذا حثَّنا الإسلامُ الحنيفُ على أن نُحافِظَ على الشباب؛ بأنْ نَسْلُكُ الوسائلَ كافّةً والتي تُؤدِّي إلى إعدادِهم وتأهيلِهم لعَملِ مُستقبَلِ الأمَّة ونشأتِهم في الطاعة والعَفافِ والطُّهْرِ، قال النبيُّ صلّى اللّهُ عليه وسلَّمَ: «يا مَعْشَرَ الشَّبابِ؛ مَن استطاعَ مِنْكُمُ الباءةَ فَلْيَتَزَوَّج» أخرجه الإمام البخاري.

أيُّها المسلمونَ: ارحمُوا الشبابَ؛ فهُم يَعيشُونَ بين ضَياعِ الآباءِ، وغَفْلَةِ الأمَّهات، وفَسادِ القنَوات، واشتدادِ الشهوات، وكَيدِ المتربِّصينَ بهِم من الأعداء، وقلَّةِ فُرَصِ العملِ المناسبةِ لهُم.

يا مَنْ أصلَحَ اللّهُ لكَ أولادَكَ احمَدِ اللّهَ تعالى على ذلكَ؛ فأنتَ في نعمَةٍ عظيمةٍ، واحذَرْ أنْ تُعيِّرَ غَيرَكَ من الآباءِ بِفَسادِ أولادِهم؛ فَكُلُّ أبٍ على وَجْهِ الأرضِ عِندَه الحرصُ على صلاحِ وَلَدِه؛ لكنَّ الهدايةَ بِيَدِ اللّهِ عزَّ وجلَّ وعليكَ بِبَذْلِ السَّبب في إصلاحِ الولد، والهدايةُ بِيَدِ اللّهِ تعالى؛ فإنْ كان الولدُ لا زالَ صَغيراً ومَقدُوراً عليه فَعَلَيكَ بالحرصِ على استقامَتِه،

وصلاحِه، وحلاوةِ لسانِه، وجَنِّبْهُ الشرورَ وأصدقاءَ السوءِ وعليكَ بالدُّعاءِ لهُ.

أمّا إذا بلغَ وَلَدُكَ سنَّ الشبابِ؛ فَلْيَكُنْ مَنهجُكَ الحوارَ معهَ، والجلوسَ معهَ، والمصارَحةَ لهُ، واجعلْه يُشارِكَكَ في همُومِكَ)؛ إنّ هذا هو وَلَدُكَ وفِلْذةُ كَبِدِكَ.

أمّا (الضَّرْبُ، والسَّبُّ، والشَّتْمُ، واللعْنُ، والطَّرْدُ) للولَدِ في هذا السِّنِّ فلا يُجْدِي نَفْعاً، ولا يُقدِّمُ شَيئاً، ولن يُصلِحَ لكَ ولَدَكَ.

وأخيراً وليسَ آخراً: أُوصيكُم أيُّها الشبابُ ونفْسي بثلاثٍ؛ بطلبِ العِلْمِ النافعِ، والعَملِ المشروعِ، والتَّوبةِ النَّصوحِ المتجدّدةِ، وبِحُسْنِ اختيارِ الجليسِ الصالِحِ والمثلِ الأعلَى. والحمدُ للّٰهِ ربِّ العالَمين.

الخُطبةُ الثالثةَ عَشَر

التكافلُ الاجتماعيُّ

قال اللّهُ تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سُورة التوبة٧١).

قال رسولُ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ» أخرجه الإمام مُسلمٌ.

نَقِفُ اليومَ في رِحابِ التكافُلِ الاجتماعيِّ والمرادُ به: أن يَعيشَ الناسُ مع بَعضِهم بَعضاً في حالةِ تعاضُدٍ وترابُطٍ بين الفردِ والجماعةِ، وبين كلِّ إنسانٍ وأخيهِ الإنسانِ.

والتكافلُ الاجتماعيُّ مطلوبٌ دائماً في الإسلامِ الحنيفِ؛ لكنَّه في الأزماتِ أشدُّ طلباً- سواءٌ ضِمْنَ الأُسرةِ الواحدةِ، أو المجتمَعِ الواحدِ، أو الأمَّةِ الواحِدة؛

ففي نِطاقِ الأُسرةِ: فقَد مَدَحَ النبيُّ مُحمّدٌ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ قومَ أبي مُوسَى الأشعريِّ؛ لتَعاونهم عندما يَفْتَقِرُونَ؛ بلْ وَعَدَّ نفْسَهُ منهُم، ولم يُرِدْ أنّه من الأشْعَرِيِّينَ في النَّسَبِ، ولا أنَّهُم من قُريشٍ؛ وإنّما أرادَ أنّ خُلُقَهُم في المساواةِ والإيثارِ والمواساةِ أقربُ الأخلاقِ إلى خُلُقِهِ الكريمِ العظيمِ صلَّى

اللّٰهُ عليه وسلَّمَ؛ فعَن أبي مُوسَى الأشعريِّ قال: قال النبيُّ صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: «إنّ الأشْعَريِّينَ إذا أرمَلُوا- فَنِيَ طعامُهُمْ- في الغَزْوِ، أو قَلَّ طعامُ عيالِهم بالمدينة جَمَعُوا ما كانَ عِنْدَهُمْ في ثَوبٍ واحدٍ، ثمَّ اقْتَسَمُوهُ بَينَهُمْ في إناءٍ واحدٍ بالسَّويةِ؛ فَهُمْ منِّي وأنا منهُم» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

وأمّا في نِطاقِ المجتمعِ: ابتداءً من الجِوار، والأخوَّةِ الإسلامية، والعِنايةِ بالضُّعفاءِ كاليتامَى والمساكينِ وانتهاءً بِعلاقةِ (الخادِمِ والمخدُوم)؛ فمِن هذا النوعِ:

ألّا يُسَرِّحَ صاحبُ عَمَلٍ عُمَّالَهُ؛ لأنّه لا يَجِدُ حركةً في أسواقه؛ إذ رُبَّما لا يَعرِفُ العاملُ عَملاً أو مَكاناً للعملِ غَيرَ هذا المكانِ، ولعلَّه إذا شاطَرَهُمُ المالَ الواردَ الذي يأتيه يكونُ خَيراً لهُ ولَهُم، ولعلَّه إذا تصدَّقَ من صَدقاته عليهم، أو من أموالِ زكاته- بشُروطِ الزكاةِ المفْرُوضة- لكانَ خيراً لَهُ ولَهُم.

وأمّا التكافلُ على نِطاقِ الأُمَّةِ: فهو أمرٌ مَطلُوبٌ ومَفرُوضٌ، ولقد وَصَفَ اللّٰهُ عزَّ وجلَّ علاقةَ المؤمنينَ ببعضِهمُ البعضِ؛ أنّها علاقةُ (الولاء والعَونِ). وأيُّ عَونٍ يكونُ إذا رأى المؤمنُ إخوتَه في أزمةٍ تُهَدِّدُ حياتَهُم، ولم يَقُمْ بتفْريجِ كُرَبِهم، فإنْ حقَّقْنا الإعانةَ بشُروطها كان ذلكَ سَبباً عظيماً في إنزالِ وابلِ رحَماتِ المنعمِ عزَّ وجلَّ قال اللّٰهُ تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٧١).

أيُّها المسلمونَ: الناسُ في حاجةٍ إلى كَنَفٍ رحيمٍ، ورعايةٍ حانيةٍ، وبَشاشةٍ سَمحةٍ، وإنّ الإنسانَ المكرّمَ لا يتميّزُ في إنسانيَّته إلّا بقلبِه ورُوحِه، لا في بَدانةِ جسمِه، وضَخامةِ عَظمِه؛ وإنّما بالرُّوحِ والقلبِ يَعيشُ ويَشعُر، ويَنفعِلُ ويَتأثّرُ، ويَرحمُ ويَتألّم.

وعلى كلِّ الأحوالِ فإذا ما قامَ كُلٌّ من الفردِ والأُسَرُة والمجتمَعاتُ والأُمَّةُ والإنسانيَةُ بالرِّعايةِ الكاملةِ، والتعاطُفِ والتعاضُدِ فهل سيبقَى فقيرٌ، أو محتاجٌ، أو ملهوفٌ في أيِّ مجتمعٍ من مجتمعاتنا؟؟

فاتَّقُوا اللّٰهَ عبادَ اللّٰهِ، ﴿وتُوبُوا إليهِ جَميعاً أيُّها المؤمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ والحَمدُ للّٰهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ الرابعةَ عَشرَ

الإصلاحُ

قال اللّهُ تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النِّساء:١١٤).

قالت أُمُّ المؤمنينَ زينبُ رَضيَ اللّهُ عنها يَا رَسُولَ اللّهِ: أنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

أيُّها المُسلمونَ: إنّ المعاصي إِذَا كَثُرَتَ فَقَدْ تتسبَّبُ في حُصولِ الْهَلَاكِ الْعَامّ- وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ صَالِحُونَ- وعندئذٍ يكونُ الهلاكُ طُهْرَةً للمُؤمنينَ، ونقمةً على الفاسقينَ؛ فالصَّلاحُ وحدَهُ لا يكفي؛ لذا لا بُدَّ من المصلحينَ الذين يُريدُونَ الخيرَ، ويُقوِّمُونَ الاعوجاجَ -حسبَ ما يَستطيعُونَ- ويُنقذُونَ الأُمَّةَ بأمْرِهم بالمعروف، وَنَهيهم عن المنكر. قال اللّهُ تعالى حكايةً عن نبيِّه شُعيبٍ عليه السلامُ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود:٨٨).

أيُّها المُسلمونَ: يَلْزَمُنا أنْ نعيَ أهميَّةَ الإصلاحِ؛ فالعداوةُ والبغضاءُ داءٌ مُدمِّرٌ يَعصفُ بالإيمانِ، ويَحلقُ الدِّينِ فلا مهربَ من الإصلاحِ حتّى يَحيا الناسُ بسَعادةٍ وأمانٍ، ولا مفرَّ من الإصلاحِ حتّى تنجُوا الأُمَّةُ من غَضَبِ اللّهِ ومَقْتِه: (جَرَى زِلزالٌ في المدينةِ زَمَنَ أميرِ المؤمنينَ عَمَرَ بنِ الخطّابِ فجَمعَ الناسَ وقال لهُم: «واللّهُ ما رَجفَتِ المدينةُ إلّا بِذَنْبٍ أحدَثْتُمُوهُ أو أحْدَثْتُمُوهُ،

واللّهِ لَئِنْ عادَتْ لا أُساكِنُكُم فيها أبَداً) قالَ اللّهُ تعالى: ﴿وما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وأَهْلُها مُصْلِحُونَ﴾ (هود:١١٧).

أيُّها المسلمونَ: إنَّ الإصلاحَ أوَّل ما يبدأُ بإصلاحِ كُلٍّ منَّا قلْبَه؛ فالقلبُ يَفْسُدُ بالمعاصي والهوَى، وسِواهُما من الأمراضِ حتّى يغلقَ بالرَّانِ؛ فلا يَعِي، ولا يتذكَّرُ، ولا يتَّعِظُ؛ فيكونَ كالحِجارةِ، أو أشدَّ قَسوةً.

قال رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وسلَّمَ: «إنّ العَبدَ إذا أخطأَ خَطيئةً نُكتَتْ في قَلْبِه نُكْتَةٌ سَوداءُ؛ فإنْ هُوَ نَزَعَ واسْتَغْفَرَ وَتابَ صَقَلَتْ قَلْبَه، وإنْ عادَ زِيْدَ فيها حتّى تعلُوَ قَلْبَهُ فَهُوَ الرَّانُ الذي ذَكَرَ اللّهُ ﴿كَلاَّ بَلْ رانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾» أخرجه الإمام التِّرمذيُّ.

ثُمَّ بعدَ إصلاحِ القلبِ لا بُدَّ من إصلاحِ النَّفْسِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ؛ وإنّما يكونُ إصلاحُها بمُحاسَبتِها، وتَزكِيتِها، ومخالفتِها وتغذيتِها بالذِّكْرِ والطاعاتِ، وَزَرعِ مُراقَبةِ اللّهِ فيها وهذا ما يُذكِّرُنا بكلماتِ ابنةِ بائعةِ اللبَنِ في عَهدِ أميرِ المؤمنينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ حينما قالتْ لأمِّها التي أَمرتها بخلطِ الحليبِ بالماءِ: (واللّهِ ما كنتُ لأطيعَه في الملأِ وأعصيه في الخلاءِ)[1].

ثُمَّ بعدَ ذلكَ يأتي إصلاحُ العَملِ سَواءٍ كان عِبادةً ومُعاملةً أمْ أمراً دُنيويّاً؛ فالصَّلاةُ -مَثلاً- هيَ مَحلٌّ للفلاحِ شرطٌ صلاحُها، والأعمالُ الدُّنيويَّةُ في أيِّ -حِرفةٍ أو عَملٍ- لا تُقبَلُ إلّا بالإخلاصِ، والصَّوابِ، والإتقانِ.

ثمَّ بعدَ ذلك نُصلِحُ من أحوالِنا مع بَعضِنا البَعضِ وقد أخبَرَنا مَولانا عن الإصلاحِ في شأنِ اليتامى والأزواجِ وعُمومِ المتخاصِمينَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر جـ٧٠ص٢٥٣ دار الفكر.

عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ (البقرة:٢٢٠). ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ (النساء:٣٥).

فأصلِحُوا أحوالَكُم كافّةً، ثمَّ اعمِلُوا على إصلاحِ أهليكُم ومَن حولَكُم، والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ الخامسةَ عَشرَ

إصلاحُ الأنْفُسِ

قالَ اللّهُ تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (الرعد:١١).

إنَّ اللّهَ تعالى يتعقَّبُ عبادَه بجُندِه الحَفَظَةِ لمُراقَبَتِهم فيما يُحدثُونَه من تغييرٍ بأنفُسِهم وأحوالِهم فيُرتِّبُ عليه اللّهُ تصرَّفَه بهم؛ فإنَّه لا يُغيِّرُ نعمةً أو محنةً؛ إلّا أن يُغيِّرَ الناسُ من واقِعِ حياتِهم فيُغيِّرُ اللّهُ ما بهم وفقَ ما صارتْ إليه أنْفُسُهم وأعمالُهم، فحينما كان العربُ في الجاهليةِ رُعاةً للغَنَمِ، ثمَّ غيَّرُوا ما بأنْفُسِهم إيجاباً أصبحُوا قادةً للأمَمِ، وبعدَها غيَّرُوا ما بأنْفُسِهم سَلْباً، فكانَ حالُهم كما تَرَونَ، وإنْ غيَّرُوا ما بأنْفُسِهم غيَّرَ اللّهُ ما بهم من حالٍ.

والأساسُ الأوَّلُ: في التغييرِ ويكونُ بالعَودةِ إلى اللّهِ تعالى؛ من خلالِ التعرُّفِ على اللّهِ عزَّ وجلَّ؛ لأنّ أصلَ الدِّينِ معرفةُ اللّهِ عزَّ وجلّ، ولا بُدَّ من التعرُّفِ على مَنهجِه وشَرعِه؛ لأنّكَ إنْ عَرَفْتَ اللّهَ ولم تعبُدْه ما نَفعتْكَ هذه المعرفةُ، لا بُدَّ من أن تبدأَ أن تتعرَّفَ على حقائقَ أساسيةٍ في الحياةِ: مَن أنا؟ لماذا أنا على سَطحِ الأرضِ؟ ماذا بعدَ الموتِ؟ ما حقيقةُ الكونِ؟ ما حقيقةُ هذا القُرآنِ الكريمِ الذي بين يَدَي المسلمينَ؟

لا بُدَّ من أنْ تتعرَّفَ إلى اللّهِ المعرفةَ العميقةَ الصحيحةَ التي تحملُكَ بشكلٍ فِطريٍّ على أن تَبحَثَ عن أمرِه ونهيه، لا بُدَّ من أن تحملكَ هذه المعرفةُ على أن تسألَ ما حُكْمُ الشرعِ في هذا، وإذا أُجبْتَ عنهُ فهل ستشعرُ برَغبةٍ كبيرةٍ إلى تطبيقِ هذا الأمرِ، ولا تلتفتْ إلى أيِّ شيءٍ يَحولُ بينَك وبينَ هذا التطبيقِ العلميّ والعَمليّ الشَّرعيّ.

والأساسُ الثاني: في التغييرِ هو إصلاحُ النفْسِ وتغييرُ ما فيها -بَدءاً من تصحيحِ العقيدةِ وصيانتِها من كُلِّ ما يُزحزِحُكَ عنها- وتصحيحِ النِّيَّةِ، ومِن ثمَّ ضَبطِ العَملِ مع البَذلِ والعَطاءِ.

واجبُنا أيُّها الأخوةُ أن نُعيدَ حساباتِنا، أنْ نُدقِّقَ في دَخْلِنا وإنفاقِنا، تربيةِ أولادِنا وخُروجِ بَناتِنا، تربيةِ بُناتِنا وتدريسِ أبنائنا، كذا في وسائلِ لَهْوِنا، هل هي وسائلُ مشروعةٌ أمْ غيرُ مَشروعةٍ؟،

ما الذي يتغذّاه أفرادُ الأُسرةِ؟ ما الذي يُغذِّيهم؟ حلالٌ أمْ حرامٌ؟

وأقصدُ بالتغذيةِ كُلَّ التغذيةِ؛ تغذيةَ البدنِ بالطعامِ والشرابِ، وتغذيةَ العواطفِ، وتغذيةَ السلوكِ والعملِ.

فإذا ما كانتِ التغذيةُ فاسدةً فالنتيجةُ واضحةٌ جدّاً؛ سُلوكٌ مُنحَرِفٌ؛ بسببِ تغذيةٍ فاسدة، فعَن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ اللّهُ عنهُ قال: سَمِعْتُ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ: «كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ؛ فالنَّارُ أولَى بهِ» أخرجه الإمام البَيهقيُّ في شُعَبِ الإيمانِ.

فلا بُدَّ من معالجةِ ذلكَ بتغذيةِ الإيمانِ بالطاعاتِ؛ وعلى رأسِها قِراءةُ القُرآنِ الكريمِ وتَدبُّرُه وفَهْمُه كَدُستورٍ في حياتِنا كُلِّها.

أيُّها المسلِمونَ: حاسِبُوا أنفُسَكُمْ قبلَ أن تُحاسَبُوا، واعلَمُوا أنّ مَلَكَ الموتِ قد تَخطَّانا إلى غَيرِنا، وسَيتخطَّى غيرَنا إلَينا؛ فَلنَتَّخِذْ حِذْرَنا، قال صلى اللّٰه عليه وسلم: «الكيِّسُ مَن دانَ نفْسَه وعَمِلَ لِما بعدَ الموتِ، والعاجِزُ مَن أتْبَعَ نفْسَهُ هَواها وتمنَّى على اللّٰهِ» أخرجه الإمام الترمذي. والحَمدُ للّٰهِ ربِّ العالَمِينَ.

الخطبةُ السادسةَ عَشرَ

الجارُ

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء:٣٦).

عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللّٰهُ عنهُ: أنّ النَّبيَّ صلَّى اللّٰهُ عليهِ وسلّمَ قَالَ: «واللّٰهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللّٰهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللّٰهِ لاَ يُؤْمِنُ» قيلَ: مَنْ يَا رَسُول اللّٰه؟ قَالَ: «الَّذي لاَ يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائقَهُ» أيّ: شُروره. مُتَّفَقٌ عَلَيه.

أيُّها المسلمونَ: لقَد حثَّنا اللّٰهُ سُبحانَه على كلِّ ما فيهِ خَيرُنا وصلاحُ أمرِنا في ديننا ودُنيانا وآخرَتنا، وممّا وصّانا اللّٰهُ بهِ: أن نُحْسنَ إلى الجيرانِ؛ سواءٌ أكانوا من الأقاربِ، أو من عامَّةِ المسلمينَ، أو من غَيرِ المسلمينَ، وبعضُ الناسِ لا يَرَى أخاهُ ولا قريبَه إلّا نادراً؛ لكنَّ الجارَ تراهُ كُلَّ مرَّةٍ، فعَلَيكَ أنْ تكونَ جاراً صالحاً.

والجِوارُ في الإسلامِ إيمانٌ وإحسانٌ،تعامُلٌ وذَوقٌ، أخلاقٌ وإرفاقٌ.

من حقِّ الجارِ: ألّا تُؤذيه، وألّا تَكشفَ سترَه، ولا تنْهَشَ عرضَه -لا بلَفظٍ ولا بسُلوكٍ-، وإن احتاجَ إليكَ أن تُواسيَهُ وأنْ تُعينَه وأن تُعيرَهُ ما يحتاجُ عندَ الاستطاعةِ، وأن تُسَرَّ لسُروره وأن تَحزَنَ لحُزْنه، ولا تُزْعجَهُ بالأصواتِ العاليةِ سواءٌ وأنتَ في بيتكِ؟ أمْ كنتَ حينما تُريدُ أنْ تسهرَ في الليلِ على

أطراف الطريق، أو حينما تَتْرُكَ أبناءكَ في الطُّرُقات يَلْعَبُونَ فعَلِّمْ ولَدكَ وَصيَّةَ لُقمانَ لابنه قالَ تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لُقمان:١٩).

ومِن أنواعِ الأذيَّةِ رميُ القاذُورات، ونحوُ ذلكَ من الإساءاتِ المتعمَّدَةِ أو العاداتِ القبيحة.

وكَمْ نسمعُ أو نرى من أذىً؛ فهذا الذي يُؤذيكَ في عَقيدَتِكَ ودِينِكَ فيشتمُ دِينَ زوجتِه، أو أبناءَه ودينَهم أو صاحبَه.

وهذا الذي يتلفَّظُ بألفاظٍ رذيلةٍ تمسُّ الأعراضَ، وهذا الذي يُرسِلُ مع أولاده بالقُمامات والقاذُورات المكشوفة والتي فيها أذىً لكُلِّ الجيران؛ بلْ ولكُلِّ مَن مرَّ بهم، وما منظرُ حاوياتِ القُمامةِ وما حَولَها إلّا أكبرُ شاهدٍ على هذا الأذى الكبير.

لقد فتحَ أجدادُنا الأوائلُ الكثيرَ من أصقاعِ الدُّنيا بِحُسْنِ التعامُلِ في تجارتهم؛ فإندونيسيا وماليزيا لم تُفتَحا بالسيف؛ بل فُتِحتا بالجوار، بالصدق، فيا إخوتي في اللّهِ! اللّهَ اللّهَ في الجَار، «الجارُ ولو جارَ» يقولُ عنترةُ -وهو لم يدرك الإسلامَ-:

وأغضُّ طَرْفي إنْ بَدَتْ لي جارَتي ... حتّى يواري جارَتي مأواها

هذا هو الجوارُ ألا تفتحُ نافذةٌ تكشفُ بها جارَكَ إذا تضرَّرَ منها؛ ألّا تنهَرَهُ ولا تَسُبهُ، ألّا تنتَهِرَ أطفالَه، ألّا تكون حَرْباً عليه، وقد استمرَّت الوصيَّةُ بالجار من جبريلَ عليه السَّلامُ لنَبيِّ اللّهِ صلواتُ اللّهِ وسَلامُه عليه حتّى ظنَّ أنَّه سَيُوَرِّثُه، ويجعلُ له نصيباً في الميراث؛ وما ذاكَ إلّا لِعِظَمِ حقِّ الجارِ في الإسلام. والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ السابعةَ عَشرَ

إطعامُ الطَّعامِ

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا، وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ (الإنسان:٨-١٢).

أيُّها المسلمونَ: إنّ إطعامَ الطعامِ أمرٌ عظيمٌ في الإسلامِ، سارَ فيه الأبرارُ من عبادِ اللّٰهِ يُطعِمُونَ الطَّعامَ بأريحيَّةِ نَفْسٍ، ورحمةِ قلبٍ، وخُلوصِ نيَّةٍ. واتجاهٍ إلى اللّٰهِ بالعملِ يَطلُبونَ رِضاهُ ولا يبتغونَ جزاءً من الخَلْقِ ولا شُكوراً؛ وإنّما يُريدُونَ اتّقاءَ يومٍ عَبوسٍ شديدِ العَبوسِ، وقَد دلَّهُم رسولُ اللّٰهِ صلّى اللّٰهُ عليه وسلّمَ عليه وهو يقولُ: «من استطاع منكُم أنْ يَقِي وَجْهَهُ حرَّ النارِ ولو بِشِقِّ تَمرةٍ فَلْيَفعَلْ» أخرجه الإمام التِّرمذيُّ.

ولقَد جاءت الأحاديثُ النبويةُ الكثيرةُ التي تحثُّنا على تقديمِ الطَّعامِ وبَذْلِه في سبيلِ اللّٰهِ، وأبانتْ ما للعبدِ من أجْرٍ عندَ اللّٰهِ حتّى في أهلِه؛ فقَد أخرج الإمامُ البُخاريُّ: «إنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً إلّا أُجِرْتَ فيهَا، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَرْفَعُهَا إلَى فِي امْرَأَتِكَ». وأخرج الإمامُ البخاري أيضاً عن عبدِ اللّٰهِ بنِ عَمرٍو رضيَ اللّٰهُ عنهُما أنّ رجُلاً سألَ النبيَّ صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: «أيُّ الإسلامِ خيرٌ»؟ قالَ: «تُطْعِمُ الطَّعامَ، وتَقرأُ السَّلامَ على مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لمْ تعْرِفْ». وأخرج الإمامُ التِّرمذيُّ بإسنادٍ صَحيحٍ عن عبدِ اللّٰهِ بنِ عَمرٍو رضي اللّٰه عنهما قال: قال رسولُ اللّٰهِ صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: «اعبُدُوا الرَّحمنَ، واطعِمُوا الطَّعامَ، وأفْشُوا السَّلامَ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسلامٍ».

وأخرج الإمام الحاكمُ عن جابرِ بنِ عبدِ اللّهِ رضيَ اللّهُ عنهُما قال: قال رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ: «منْ مُوجباتِ المغْفرَةِ إطعامُ المسلمِ السَّغْبانِ». أيّ: المتعَبِ الجائعِ. قال اللّهُ تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَةٍ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (البلد: ١١ إلى ١٧).

أخرج الإمام البُخاريُّ عن أبي هُريرةَ رضيَ اللّهُ عنهُ: عن النبيِّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ قال: «يا نِساءَ المسلِماتِ؛ لا تَحْقِرَنَّ جارةٌ لِجارَتِها ولو فِرْسَنَ شاةٍ».

بمعنى لا تَسْتَصْغِرَنَّ شيئاً تُقدِّمُهُ هبَةً فَتمْتنِعَ منها. و (فِرْسَنَ شاةٍ): ما دونَ الرُّسُغِ من يَدِها، وقيلَ: هو عَظْمٌ قليلُ اللحمِ، والمقصودُ: المبالغةُ في الحثِّ على الإهداءِ؛ ولو في الشيءِ اليسيرِ، وخصَّ النساءَ بالخطابِ؛ لأنَّهُنَّ يغلبُ عليهِنَّ استصغارُ الشيءِ اليسيرِ، والتباهي بالكثرةِ وأشباهُ ذلك.

فيا عبادَ اللّهِ: ألا تخافُونَ يوماً عَبوساً قمْطريراً. أفلا تَسلُكونَ طُرُقَ النَّجاةِ، ألّا تتَّقُونَ النَّارَ ولو بنِصفِ تمرةٍ، ألا تريدونَ أن تَدخُلوا الجنَّةَ بسلامٍ؛ فأطعِمُوا الطَّعامَ، وتذكَّرُوا «ما آمنَ بي مَن باتَ شَبْعانَاً وَجَارُهُ جائعٌ إلى جَنبِهِ وهو يَعلَمُ بهِ» أخرجه الإمام الطبراني. والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمين.

الخطبةُ الثامنةَ عَشرَ

النفَقَة

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطَّلاق:٧).

وعَنْ ثَوْبَانَ رضي اللّٰه عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلّى اللّٰه عليه وسلَّم: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِه، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِه فِى سَبِيلِ اللَّه، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّه» أخرجه الإمام مُسلِمٌ.

أيُّها المسلمونَ: إنّ المبدأَ العامَّ في الإسلامِ حولَ النَّفَقاتِ مبدأٌ عظيمٌ قائمٌ على الاستطاعة، واليُسْر، والاعتدال، والحاجة قال اللّٰهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (الفُرقان:٦٧).؛ فَكُلُّ إنسانٍ يُنْفِقُ بِقَدْرِ طاقَتِه وحَسَبَ مَقْدِرَتِه، وستكونُ هذه النفقةُ بإذنِ اللّٰهِ تعالى سَبباً في زيادةِ الرِّزْقِ عندَ اللّٰهِ؛ فقَد قال رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وسلَّم: «ما مِنْ يَوم يُصبِحُ العبادُ فيه إلّا مَلَكانِ يَنْزِلانِ؛ فيقولُ أحدُهُما: اللَّهُمَّ أعطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، ويقولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» أخرجه الإمام مُسلِمٌ.

وإذا كانتِ النفَقةُ على الأبناءِ في دراستِهم؛ فهيَ نفقةٌ على طالبِ العلمِ، ويَشهَدُ لهذا ما أخرجه الإمامُ التِّرمذيُّ عن أنسٍ رضيَ اللّٰهُ عنهُ، قَالَ: كَانَ أَخَوانِ عَلَى عَهْدِ النَّبيّ صلَّى اللّٰه عليه وسلَّمَ، وَكَانَ أحَدُهُمَا يَأتي النَّبيَّ صلَّى اللّٰه عليه وسلَّمَ وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا المُحْتَرِفُ أخَاهُ للنبيِّ صلَّى اللّٰه عليه وسلَّمَ فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِه».

وتَذكَّرُوا معاشرَ المؤمنينَ: أنّ النفقةَ هذه مع غيرِها ممَّا أوجبَ اللّهُ تعالى من النفقاتِ هي صَدقةٌ عظيمةٌ عندَ اللّهِ؛ فقَد أخرج الإمام مُسلمٌ عَن النبيِّ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً».

وبِمُقابلِ ذلكَ فلا يحلُّ للإنسانِ أن يُخلَّ بنفقةِ أهلِه؛ فقَد أخرج الإمام أبو داودَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي اللّه عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»؛ لذلكَ أباحَ الشَّرعُ الحنيفُ للزَّوجَةِ أن تأخُذَ من مالِ زَوجِها دونَ علمِه؛ إذا قصَّرَ في النفقةِ عليها وعلى أولادِه؛ لكنْ في حُدودِ الوسطِ دونَ إسرافٍ ولا تقتيرٍ، لقَد روتْ أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضيَ اللّهُ عنها أنّ هندَ بنتَ عُتْبَةَ قالت: يا رسولَ اللّهِ، إنّ أبا سُفيانَ رَجُلٌ شَحيحٌ، وليسَ يُعطيني ما يَكْفيني وَوَلَدي إلّا ما أخَذْتُ منْهُ وهو لا يَعلَمُ، فقالَ صلّى اللّهُ عليه وسلَّمَ: «خُذي ما يَكْفيكِ وَوَلَدَكِ بالمعرُوفِ» أخرجه الإمام البُخاريُّ. أيّ: الحاجاتِ الضروريةَ لا أنْ تجعلَ ذلك عادةً دُونَ سببٍ مَلجئٍ لها.

فاتَّقُوا اللّهَ عبادَ اللّهِ، واعلَمُوا أنّه: لا يجتمعُ بُخْلٌ وإيمانٌ، وكيفَ يكونُ ذلكَ وقد وَصَفَ اللّهُ عبادَهُ المؤمنينَ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾... (الأنفال:٣-٤).

وقالَ اللّهُ تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد:٧). والحمدُ للّهِ ربِّ العالَمين.

الخُطبةُ التاسعةَ عَشرَ

الوصيَّة

قالَ اللّٰهُ تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١٨٠)، قال اللّٰه تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ (النِّساء: ١٣).

عن عبدِ اللّٰهِ بنِ عُمَرُ رضي اللّٰه عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه صلّى اللّٰهُ عليه وسلّمَ قَالَ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ ثَلاَثَ لَيَالٍ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ عِنْدَهُ مَكْتُوبَةٌ».

قَالَ عَبْدُ اللَّه بْنُ عُمَرَ: «مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ قَالَ ذَلِكَ إِلاَّ وعِندي وصيَّتي» أخرجه الإمام مُسلمٌ.

قال النَّوويُّ رحمهُ اللّٰه: قَالَ الإمام الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: معنى الحديث ما الحزْمُ والاحتياطُ للمسْلمُ؛ إلّا أن تكونَ وصيَّتُه مَكتوبةٌ عندَه، ويُستحَبُّ تعجيلُها، وأنْ يَكتبَها في صحتِه، ويَشْهدُ عليه فيها، ويكتبُ فيها ما يحتاجُ إليه، فإنْ تجدَّدَ له أمرٌ يحتاجُ إلى الوصيَّة به ألحقَه بها، قالُوا: ولا يُكلَّفُ أن يكتُبَ كلَّ يومٍ مُحقِّرات المعاملات وجُزئيات الأمور المتكرِّرة. وَأَمَّا قَوْلُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ «وَوَصِيَّته مَكْتُوبَة عِنْدَه» إشهادٌ ولا بُدَّ لتلكَ الكتابة أن تكونَ مَقرُونةً بالإشهادِ حتّى يُعمَلَ بها.

أيُّها المُسلمونَ: الوصيَّةُ هيَ تمليكٌ لما بعدَ الموتِ، حثَّ عليها الإسلامُ، ووضعَ لها عدَّةَ شُروطٍ؛ فلا وصيَّةَ لوارثٍ؛ إلّا أن يشاءَ الورثةُ، ولا وَصيَّةَ فوقَ ثُلُثَ المالِ؛ لقَولِ رَسولِ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّم لسَعدٍ: «والثُّلُثُ كثيرٌ؛ إنَّكَ أنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أغنياءَ خَيرٌ من أنْ تَدعَهُمْ يَتَكَفَّفُونَ النّاسَ، وإنَّكَ لنْ تُنْفِقَ نَفقَةً إلّا أُجِرْتَ فيها حتَّى اللقْمَةَ ترفعُها إلى فيِّ امْرأتِكَ» أخرجه البخاري.

وكلمةُ الوصيَّةِ كلمةٌ جامعةٌ لا تَقِفُ عند الأشياءِ الماديَّةِ فحَسْب؛ بل تشملُ الأمورَ الإيمانيةَ والأخلاقيةَ كما قالَ اللّهُ تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة:١٣٢). وكان صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ لأصحابِه: «أُوصيكُمْ بتَقْوَى اللّهِ» أخرجه الإمام أبو داودَ.

وقالَ اللّهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ (النِّساء:١٣١).

أخي المُسلمُ: أكتبْ وصيَّةً لكَ تكتبُ فيها ما عليكَ من حُقوقٍ للّهِ تعالى من زكاةٍ وحَجٍّ- خاصَّةً لمَن استطاعَ ولم يَحُجَّ، وكفَّاراتٍ، وفديةٍ وما شابَه ذلكَ-، وكذلكَ ما عليكَ لعبادِ اللّهِ من حُقوقٍ ماديَّةٍ أو معنويَّةٍ وهذه واجبةٌ عليكَ؛ فإنَّ اللّهَ تَعالَى فَرَضَ أَدَاءَ الْأَمَانَات، فإنْ لم يكُنْ فأوصي أهلَكَ بتقوى اللّهِ، والمحافَظةِ على الصَّلاةِ، والحقِّ، والصَّبرِ، والأُلفَةِ، والصِّلَةِ، والبرِّ. ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (سورة العصر). والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ العشرُونَ

الغِشُّ

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ (هود:٨٤).

فبعدَ أنْ أمرَ نبيُ اللّٰهِ شُعيبٌ عليهِ السلامُ قومَه بتصحيحِ العقيدةِ أشارَ لهُم مباشرةً بقضيَّةِ الأمانةِ في المعاملاتِ؛ حيث كان أهلُ مَدْيَنَ يُطَفِّفونَ المكيالَ، ويَنقصُونَ الميزانَ، ويبْخَسُونَ الناسَ أشياءهُم، كما كانوا يَقومُونَ بالسِّرقةِ الخفيَّةِ فنَهاهُم عن ذلك نبيُّ اللّٰهِ شُعيبٌ عليه السلامُ، وذَكَّرَهُم بالخيرِ والغِنى الذي يَعيشُونَ فيه وحذَّرَهُم من عذابٍ مُهلكٍ لهُم في الدُّنيا كذا في الآخرَةِ كقولِه تعالى:﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطفِّفين:١إلى٦).

وعن أبي هُريرةَ أنّ رسولَ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ مرَّ على صُبْرَةِ طعامٍ فأدخلَ يدَه فيها فنَالتْ أصابعُه بَللاً فقال: «ما هذا يا صاحبَ الطَّعامِ». قالَ: أصابَتْه السَّماءُ يا رسولَ اللّٰهِ. قال: «أفلا جَعلْتَهُ فوقَ الطَّعامِ كي يَراهُ الناسُ؛ مَن غَشَّ فليسَ منّي» أخرجه الإمام مُسلمٌ.

إخوةَ الإيمانِ والعَقيدَة: إنّ عمادَ الدِّينِ والدُّنيا وقِوامَهما هو النصيحةُ، وإنّ فَسادَهُما بالغِشِّ للخَلْقِ من أجلِ منافعَ وهميَّةٍ ممحوقَةٍ من كُلِّ خيرٍ وبركَة.

عن حَكيم بْن حزَام رضيَ اللّٰهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا - أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

أيُّها المسلمونَ: ولا يقتصرُ مفهومُ الغشِّ على المعاملة فحسبْ؛ بل إنّه أعمقُ من ذلكَ؛ إنَّه من القلبِ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ لي رَسُولُ اللَّه صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّم: «يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَافْعَلْ» ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سنتي وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أحبَّنِي. وَمَنْ أحبَّني كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ» أخرجه الإمام التِّرمذيُّ.

واسْمعُوا إلى الإمامِ أبي حَنيفةَ النُّعمانِ رحمه اللّٰهُ تعالى عندما جاءتْهُ امرأةٌ بِثَوبٍ من الحريرِ تَبيعهُ لهُ، فقالَ: كَمْ ثمنُه؟ قالتْ: مئةً، فقالَ: هو خَيرٌ من مئةٍ، يَعني: هُو مَن يقولُ لها: ارفَعِي الثَّمَن؛ فهُو يستحقُّ أكثرَ، ولا يستغلُّ الفُرصَةَ كَتاجِرٍ! فقالتْ: مئتَين، فقالَ: هو خَيرٌ من ذلكَ، حتّى وصلتْ إلى أربعِ مئةٍ، فقالَ: هو خَيرٌ من ذلكَ، قالتْ: أتهزأُ بي؟ فجاءَ برَجُلٍ فاشْتَراهُ بِخَمسمائةٍ[1].. يعني: هو مَن جاءها بالمشتري ابتغاءَ مرضاةِ اللّٰهِ، ولم يأخُذْ نسبةً على الوساطةِ. فأينَ هُمْ؟! وأين نحنُ منهُمْ أيُّها المسلمونَ؟!

فَعُودُوا إلى دينكُم والتمسُوا الحلالَ الطَّيِّبَ في رزقكُم، وتحرُّوا البركةَ في أموالكم؛ فلَيسَت العِبْرَةُ بكَثرَتها؛ وإنّما العبرةُ بالخيرِ والنفعِ المرافقِ لها، فإذا كانتْ من غِشٍّ ومن تدليسٍ فلا خيرَ فيه. والحَمدُ للّٰهِ ربِّ العالَمين.

(١) الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان لابن حجر الهيتمي ص٤٥، طبع قديماً في مطبعة السعادة ١٣٢٤هـ.

الخطبةُ الحاديةَ والعِشرونَ

السُّوقُ

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (الفُرقان:٢٠).

قال رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: «أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلاَدِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا» أخرجه الإمام مُسلمٌ.

أيُّها المسلمُونَ: لقَد كان الرُّسلُ الكرامُ يَرْتادُونَ الأسواقَ كَسْباً للرِّزق وطَلَباً للمَعاش؛ حتّى عابَ المشركونَ ذلك بقَولهم: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان:٧). وقد اقتَدى به صلَّى اللّٰهُ عليه وسلّمَ أصحابُه الكرامُ؛ فكانُوا يتَّجِرُونَ فيها بأموالهم، وهذا الصَّحابيُّ الجليلُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَوفٍ رضيَ اللّٰهُ يقولُ لأخيه الأنصاريِّ صاحبِ الإيثار: «دُلَّني على السُّوقِ؛ لأتَّجِرَ فيها» أخرجه الإمام البخاري.

ولقَد حَظِيَ السُّوقُ في عَهده صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ باهتمامه فقال: «هذا سُوقُكُمْ فلا يُنتَقصَنَّ ولا يُضْرَبَنَّ عليه خَراجٌ» أخرجه الإمام ابنُ ماجهْ، ووضعَ له ضوابطَ، وسنَّ له آداباً، وطهَّرَهُ من كثيرٍ من بُيوعِ الجاهليةِ المشتملةِ على الغَبنِ والغِشِّ والرِّبا، وبيعِ المحرَّماتِ فيه، ومَنعِ أيِّ احتكارٍ أو استغلالٍ فيها.

ويا حبَّذا لو تَذكَّرْنا بعضاً من آدابِ السُّوقِ:

أوّلاً: إذا دَخَلْتَ السُّوقَ فاذْكُرِ اللّه تعالى؛ لأنّ السُّوقَ -في الأعمِّ الأغلبِ- مكانُ غَفْلَةٍ عن ذِكْرِ اللّهِ؛ فهُو موضعُ سَلطَنةِ الشيطانِ؛ لهذا شُرِعَ للمسلمِ الذِّكْرُ ليُقاوِمَ غَلَبَةَ الشَّيطانِ قال رسولُ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ: «مَن دَخَلَ السُّوقَ فقال: لا إلهَ إلّا اللّهُ، وَحدَهُ لا شَريكَ لهُ، لهُ المُلْكُ، ولهُ الحمْدُ يُحيي ويُميتُ، وهُو حيٌّ لا يَموتُ بِيَدِه الخيرُ، وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ، كَتَبَ اللّهُ لهُ ألفَ ألفِ حَسَنَةً، ومَحا عَنْهُ ألفَ ألفِ سَيِّئَةً، وبَنى له بيتاً في الجَنَّةِ» أخرجه الإمام التِّرمذيُّ.

ثانياً: لا تَكُنْ سَخَّاباً بالأسواقِ: والسَّخَبُ: هو رَفْعُ الصَّوتِ بالخِصامِ، وَرَدَ في وَصْفِ النبي صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم: «أنّهُ ليسَ بِفَظٍّ ولا غَليظٍ ولا سخَّابٍ بالأسواقِ، ولا يَدفَعُ بالسَّيئةِ السَّيئةَ، ولَكِنْ يَعفُوَ ويَغْفِر» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

ثالثاً: «قلْ للمُؤمنينَ يُغُضُّوا من أبصارِهِم»: إنّ كثرةَ تَرَدُّدِ العبدِ على الأسواقِ، يُعرِّضُه لرُؤيةِ ما لا يُرضي اللّه عزَّ وجلَّ: «يا عَليُّ: لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فإنّ لكَ الأُولى ولَيْسَتْ لكَ الآخرَة» أخرجه الإمام أبو داودَ.

رابعاً: احْذَرْ كثرَةَ الحَلِف:. قال رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وسلَّم: «الحَلِفُ مَنفَقةٌ للسِّلعَةِ، مَمْحَقَةٌ للكَسْبِ» مُتَّفَقٌ عليه.

خامساً: طهِّرْ تعاملُكَ من خلالِ الصَّدَقةِ في سبيلِ اللّهِ عزَّ وجلَّ أخرجه الإمام أبو داودَ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي غَرَزَةَ قَالَ: كُنَّا نَبْتَاعُ الْأَوْسَاقَ- الأحمالَ- بِالْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نُسَمِّي أَنْفُسَنَا السَّمَاسِرَةَ فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمَّانَا بِاسْمٍ أَحْسَنَ مِمَّا كُنَّا نُسَمِّي أَنْفُسَنَا بِهِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ

التُّجَّـارِ؛ إِنَّ هَـذَا الْبَيْـعَ يَحْضُـرُهُ اللَّغْـوُ وَالْحَلِـفُ فَشُـوبُوهُ بِالصَّدَقَـةِ» أخرجـه الإمـام أبـو داودَ. اللهُـمَّ اجْعَلْنـا مِمَّـنْ يَسْـتَمِعُونَ القـولَ فَيَتَّبِعُونَ أحسَـنَه. والحَمدُ للّٰهِ رَبِّ العالَمِـينَ.

الخُطبةُ الثانية والعِشرون

الأمانَة

قال اللّهُ تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ (الأحزاب:٧٢).

إنَّها أمانةُ التكليفِ بالأوامرِ والنواهي، والأخذُ بدِينِ اللّهِ، والقيامُ بأمْرِه، وترتُّبَ على ذلكَ الشرطِ ثوابٌ على الإحسانِ، وعقابٌ على الإساءة؛ ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيماً﴾ (الأحزاب:٧٣).

إنَّ الإمامَ ابنَ كثيرٍ -رحمَه اللّهُ تعالى بعدَ أنْ سَرَدَ أقوالاً من أقوالِ السَّلَفِ في شأنِ هذه الأمانةِ- قال: «أقوالُهم مُتَّفقةٌ وراجعةٌ إلى أنّها التكليفُ بقَبولِ الأوامرِ والنواهي بشَرطِها[١]».

قال الإمامُ القُرطبيُّ رحمهُ اللّهُ تعالى في معنى الأمانَة: «والأمانةُ والعَهدُ يجمعُ كلَّ ما يحملُه الإنسانُ من أمرِ) دينِه ودُنياهُ قولاً وفعلاً[٢]». وهذا يَعمُّ مُعاشرةَ الناسِ والمواعيدَ، ومن ذلكَ أحوالُ الأزواجِ فيما بينَهُم، وغايةُ ذلكَ حِفظُه والقيامُ به.

وتأمَّلُوا قولَه صلّى اللّهُ عليه وسلَّمَ: «لا إيمانَ لمَنْ لا أمانةَ لَهُ، ولا دينَ لمَنْ لا عَهْدَ لَهُ» أخرجه الإمام أحمدُ في مُسندِه وابنُ حبّانَ. والمعنى: أي لا يَكمُلُ

(١) تفسير ابن كثير جـ٦ص٤٨٩، دار طيبة،١٤٢٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ١٢ص١٠٧. تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، دار احياء التراث العربي بيروت،١٤٠٥ هـ.

إيمانُه، ولا يصدقُ إيمانُه، ولا تتجلَّى ولا تظهرُ آثارُ إيمانِه؛ فذلكَ الذي خانَ أمانتَه، وذلك الذي أكلَ الحرامَ، وذلك الذي ضيَّعَ المسؤوليَّةَ، وذلك الذي ظَلَمَ فنحَّى صاحبَ الحقِّ وقدَّمَ غيرَه لمَصلَحتِه، وذلكَ الذي أشاعَ الفسادَ في المجتمعِ بتضييعِه للأمانةِ، وذلكَ الذي جعلَ الحقوقَ ضائعةً، وجعلَ الأمانةَ مُضيَّعةً سَيُحاسَبُ حِساباً دقيقاً؛ وذلكَ في أصعبِ مشاهدِ الحسابِ على الصِّراطِ.

قال صلى الله عليه وسلم: «وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالاً» أخرجه الإمام مسلم.

قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: «هُوَ لِعِظَمِ أَمْرِهِمَا وَكِبَرِ مَوْقِعِهِمَا فَتُصَوَّرَانِ مُشَخَّصَتَيْنِ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يُرِيدهَا اللَّه تَعَالَى، وتَقُومَانِ بذلك لِتُطَالِبَا كُلّ مَنْ يُرِيد الْجَوَاز بِحَقِّهِمَا[1]».

لَمّا فتحَ المسلمونَ القادسيَّةَ ونَصرَهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ قاموا بدفعِ الأموالِ إلى أميرِ المؤمنين عمرَ رضي اللهُ عنه فدفعُوا الأموالَ لعُمَرَ، فلمَّا رآها بَكَى وقال: «واللهِ الذي لا إلهَ إلّا هوَ إنَّ قوماً دفَعُوها إليَّ لأَمَناءُ». فقالَ المستَشارُ المؤتَمنُ أبو الحَسَنِ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ: «عَفَفْتَ فَعَفُّوا، ولَو رَتَعْتَ لَرَتَعُوا[2]».

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء:٥٨). والحمدُ للهِ ربِّ العالَمين.

---

(١) شرح صحيح مسلم جـ٣ص٧٢.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ٧ص٦٧. دار المعارف بيروت.

الخطبةُ الثالثةُ والعشرونَ

الإسرافُ

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (الإسراء:٢٩-٣٠).

أيُّها المسلمونَ: لقَد دعانا الإسلامُ الحنيفُ إلى التوسُّط والاعتدال في الإنفاق والاستهلاك، ومَدَحَ عباداً لهُ بهذا الأمرِ قالَ اللّٰهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفُرقان:٦٧).

فنهانا عن الإسرافِ هو تجاوُزِ الحدودِ في الإنفاقِ، ويشملُ ذلكَ الطعامَ والشرابَ واللباسَ وما شابَه ذلكَ في زماننا كالكهرباء، والاتصالات، وإهدار الماء، والمبالغة في الغَسل والنظافة إلى حدِّ الوسْواس قالَ اللّٰهُ تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٧).

ونهانا دينُنا عن التبذيرِ وهو إنفاقُ المالِ في غيرِ وَجْهِ حقٍّ وإنفاقُه على سائرِ المحرَّمات، وقد شبَّه اللّٰهُ تعالى المبذِّرينَ بإخوانِ الشَّياطينِ بمعنى أعوانٍ، وأولياء، ونُظراء، وأمثالِ الشَّياطين.

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء:٢٦-٢٧).

وقد وَرَدَ عن النبيِّ صلّى اللّٰه عليه وسلَّمَ أحاديثُ كثيرةٌ تأمُرُ بالاعتدال والتوسُّط في الإنفاق؛ حتّى ولو كان الأمرُ بعبادةٍ كالصدقة والوضوء، قال النبيُّ محمّدٌ صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّم: «كُلُوا واشْرَبُوا والْبَسُوا وتَصَدَّقُوا في غَيرِ إسرافٍ ولا مَخيلة» أخرجه الإمام البُخاريُّ. أيّ ضابطَين الأوَّل: عدمُ المغالاة، والثاني: من غَيرِ تَكبُّرٍ.

وقال: «كُلُوا واشْرَبُوا وتَصَدَّقُوا والْبَسُوا في غَيرِ مَخيلَةٍ ولا سَرَفٍ؛ إنّ اللّه يُحِبُّ أن تُرَى نِعْمَتُهُ على عَبْده» أخرجه الإمام أحمدُ.

عن عبد اللّه بن عَمْرٍو أنّ رَسُولَ اللّه صلَّى اللّه عليه وسلَّمَ مَرَّ بِسَعْدٍ وهو يتوضَّأُ فقالَ: «ما هذا السَّرَفُ» فقالَ: أفي الوُضوءِ إسرافٌ؟! قالَ: «نَعَمْ، وإنْ كُنْتَ على نَهْرٍ جارٍ» أخرجه الإمام ابنُ ماجهْ.

وقال النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مِنْ فِقْه الرَّجُلِ رِفْقُهُ في مَعِيشَته» أخرجه الإمام أحمد.

أيّ: إنّ ذلكَ من فَهمه في الدِّين، واتِّباعه طريقَ المرسلينَ.

وقَالَ رَسُولُ اللّه صلّى اللّه عليه وسلَّمَ: «لا تَزُولُ قَدَما عَبْدٍ يَومَ القِيامة حتّى يُسأَلَ عَن عُمُرِه فِيمَ أفناهُ، وعن علْمه فيمَ فَعلَ، وعن ماله من أينَ اكْتَسَبَهُ وفِيمَ أنْفَقَهُ، وعَن جِسْمه فيمَ أبْلاهُ» أخرجه الإمام ٱلتِّرمذيُّ.

أيُّها المسلمونَ: لقَد أكْرَمَكُمُ اللّه تعالى بنِعَمٍ كثيرةٍ ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (النحل:١٨). لَكِنَّ هذه النِّعَمَ بحاجةٍ إلى استعمالها وفقَ ما أرادَ المنعمُ، وقد أرادَ ربُّنا جلَّ جَلالُهُ منّا ألّا نُسْرِفَ وألّا نبذِّرَ؛ فلنَكُنْ كذلكَ كَيلا تزولَ تلك النِّعمُ، وقد استعاذَ صلَّى اللّه عليه وسلَّم من ذلكَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوالِ نِعْمَتِكَ، وتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وفُجَاءةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» أخرجه الإمام مُسلمٌ.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم:٧). والحَمدُ للّه ربِّ العالَمينَ.

الخطبةُ الرابعة والعِشرون

الشَّجَرُ والنارُ

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ (الواقعة:٧١-٧٣).

لقد كان كشفُ الإنسانِ للنارِ حادثاً عَظيماً في حياته؛ ولكنَّها أصبحتْ أمْراً مألُوفاً لا يُثيرُ الاهتمامَ عبرَ الأزمانِ، والإنسانُ يُوقِدُ النَّارَ؛ ولكنْ مَن الذي أنشأَ وقُودَها؟

مَن الذي أنشأ الشجرَ الذي تُوقَدُ به النارُ؟ إنّه اللّٰهُ جلَّ جَلالُه.

وبمناسبةِ ذِكْرِ النَّارِ يظهرُ السِّياقُ إلى نارِ الآخرَة: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ تُذَكِّرُ بالنّارِ الأُخْرى. كما جَعلْناها ﴿مَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾ وهو لفظٌ مُشتَرَكٌ من ألفاظِ اللغةِ العربيةِ؛ فالنّارُ هي متاعُ المستمتعينَ بها من الناسِ أجمعينَ طَبخاً، وخَبزاً، وتَدفئةً، واستِضاءةً.

وكان لهذه الإشارةِ وقعُها العميقُ في أنفُسِ المخاطَبينَ؛ لِمَا تُمثِّلُه في واقعِ حياتِهم من مدلولٍ حيٍّ حاضرٍ في تجاربِهم وواقعِهم. مَدلولٌ مُيسَّرٌ للقلوبِ والأذهانِ؛ فيُهيبُ اللّٰهُ تعالى بالرَّسولِ صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ أنْ يُحيِيَ هذه الحقيقةَ ويُؤدِّي حقَّها؛ ويَلْمَسَ القلوبَ بها في حِينِها: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

وقالَ اللّٰهُ تعالى في أمرِ الشجَر والنَّارِ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (يس:٨٠). الذي أخرجه لكُمْ من الشَّجَرِ الأخضرِ الرَّطْبِ ناراً مُحرِقةً، فإذا أنتُمْ من الشجَر تُوقِدونَ النارَ؛ فهُو القادرُ على إخراجِ الضِّدِّ من الضِّدّ. وفي ذلكَ دليلٌ على وحدانيَّةِ اللّٰهِ تعالى وكمالِ قُدْرَتِه، ومن ذلك إخراجُ الموتى من قُبورهم أحياءً.

أيُّها المسلمونَ: إنّ الشَّجَرَ من آياتِ اللّٰهِ العظيمة، وإنَّ اللّٰهَ هو الذي يُنبِتُها ويُحْيِيها، ويُخرِجُ منها منافِعَ عديدةً للإنسانِ والكائناتِ حتّى النحلَ فإنّ اللّٰهَ فَطَرَها على أن تتَّخذَ من الشَّجرِ بُيوتاً لها قال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (النحل:٦٨).

وإذا كانتِ الأشجارُ كذلك وَعُدّنا للحاجة؛ لنُبْصِرَ المتاعَ فيها فإنّ علينا أن نكونَ سَبباً في إنباتِها والاستفادة المنتظمة منها؛ فعَن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللّٰهُ عنهُ أنّ رَسُولَ اللّٰهِ صلّى اللّٰهُ عليهِ وسلَّم قال: «ما من مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً، أو يَزْرَعُ زَرْعاً؛ فيأكُلَ منهُ طَيرٌ، أو إنسانٌ، أو بَهيمةٌ، إلّا كانَ لهُ بهِ صَدقةٌ» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

ولنتأمَّلِ الأملَ من غَرْسِ الأشجارِ حتّى لو كُنّا مع علاماتِ الساعة؛ فعَن أنسِ بنِ مالكٍ قالَ: قال رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليهِ وسلَّمَ: «إنْ قامَتِ السَّاعةُ وبيَدِ أحدِكُمْ فَسيلَةٌ؛ فإنْ استطاعَ أنْ لا يَقومَ حتّى يَغْرِسَها فَلْيفْعَلْ» أخرجه الإمام أحمدُ.

وأخيراً وليس آخراً: ازرعْ أُخيَّ للآخرة؛ فعَن عبدِ اللّٰهِ بنِ مَسعودٍ رضي اللّٰهُ عنهُ قال: قالَ رَسُولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليهِ وسلَّم: «لَقيتُ إبْراهيمَ ليلةَ

أُسْـرِيَ بـي فقـالَ: يـا مُحمَّـدُ أقْـرِئ أُمَّتَـكَ منِّـي السَّـلامَ، وأخْبِرْهُـمْ أنَّ الجَنَّـةَ طَيِّبَـةُ التُّرْبَـةِ، عَذْبَـةُ المـاءِ، وأنّهـا قِيعـان، وأنّ غِراسَـها سُـبحانَ اللّهِ، والحمـدُ للّهِ، والحمـدُ للّهِ، ولا إلـهَ إلّا اللّهُ، واللّهُ أكْبَـرُ» أخرجه الإمـام التِّرمـذيُّ، والحَمـدُ للّهِ ربِّ العالَمِـينَ.

الخُطبةُ الخامسة والعِشرونَ

وُجوبُ أداءِ الزكاةِ

قال اللّهُ تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النُّور:٥٦).

وقال سُبحانهُ وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام:١٤١).

وعن ابنِ عُمَرَ رضيَ اللّهُ عنهُما قال: قال رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وسلّمَ: «بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ: شهادةِ أنْ لا إلهَ إلّا اللّهُ وأنّ مُحمَّداً رسولُ اللّهِ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، والحجِّ، وصَومِ رَمضانَ» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

أيُّها المسلمونَ: الزكاةُ هي أحدُ أركانِ الإسلامِ الحنيفِ، وتُمثِّلُ العَمودَ الفقريَّ للنظامِ الماليّ في الإسلامِ العظيمِ، وإنَّ أيَّ وَهَنٍ أو تقصيرٍ أو تساهُلٍ بأدائِها يعني الشّلَلَ في دَورةِ النّظامِ الماليِّ.

وتأمَّلُوا إخْوتي في اللّهِ كيف تزدادُ حركةُ الأسواقِ عندَ أداءِ الزكاةِ.

إنّ الزكاةَ تحملُ مَعانٍ كثيرةً؛ فَهي تعني الحفظَ للمالِ؛ أيّ: بمثابةِ التأمينِ لكنْ مع صاحبِ الملكِ المطلَقِ ألَا وهُو اللّهُ عزَّ وجلَّ، ومن معانيها الطهارةُ طهارةُ المالِ والنفسِ من الشُّحِّ والبُخلِ، كما أنّ من معانيها النَّماءُ، وهُو من أوائلِ المقاصدِ؛ لتأمينِ الحاجاتِ المتزايدةِ.

إنَّ الزكاةَ تجبُ على كلِّ مُسلمٍ مالكٍ للنِّصابِ، وهو الحدُّ الأدنى الذي تَجبُ فيه الزكاةُ- شريطةَ أن يكونَ فائضاً عن حاجاته الأصليَّة مع مُرورِ سَنةٍ هِجْريَّةٍ عليه-؛ فإنْ حصلَ الغِنَى بِملْكِ النِّصابِ يُضَمُّ للمالِ كُلُّ الأموالِ والأرباحِ المستفادةِ أثناءَ العامِ، ولا يُنتظَرُ مُرورُ الحَولِ على كلِّ مالٍ.

وحَدُّ نِصابِ الحُليِّ مِئةُ غرامٍ من الذَّهبِ في قول للعلماء، وخمسٌ وثمانونَ غراماً في قول آخر، ويجبُ على المرأةِ -إنْ لم تَجِدْ مالاً لِدَفْعِها- أن تبيعَ قِسماً من ذَهَبِها وتزكِّي منه. كي تَنجُوَ بنَفْسِها من الوعيدِ الشديدِ، في حقِّ تاركِ الزكاةِ.

إنّه تحذيرٌ ربَّانيٌّ تهتزُّ له القلوبُ، وتذوبُ من هولِه الأفئدةُ بأسلوبٍ لو خُوطِبَتْ به الجبالُ الصُّمُّ؛ لَخَشَعَتْ وتَصَدَّعَتْ.

قال اللّٰه تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة:٣٤-٣٥).

كما تجبُ الزكاةُ في كلِّ ما يخرجُ من الأرضِ من نَتاجٍ زراعيٍّ يقومُ به الإنسانُ، ونسبةُ الواجبِ هي العُشْرُ إذا كانتِ الأرضُ بَعليَّةً ونِصفُ العُشْرِ إذا كانتْ مَرْويَّةً،

وقد ذهبَ الإمامُ أبو حنيفةَ رَحِمهُ اللّٰه تعالى إلى إيجابِ الزكاة في كُلِّ ما تُنبتُه الأرضُ من محاصيلَ؛ لعُمومِ قولِه اللّٰه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أخرجه الإمامنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة:٢٦٧).

وهو ما كَتَبَ به أميرُ المؤمنينَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ الذي لم يَعُدْ في زَمَنِه مَن يحتاجُ للزكاةِ، وهذا هو الراجِحُ عندَ مناقشةِ الأدلَّة. واللّه تعالى أعلى وأعلمُ.

فاللّهَ اللّهَ يا مَعشَرَ المؤمنينَ كُونُوا من الأسخياءِ الصالحينَ، ولا تَكُونُوا من البُخلاءِ الفاسقينَ، وأدُّوا زكاةَ أموالِكُم ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٦).

والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ السادسة والعِشْرُونَ

مانِعُو الزَّكاة

قال اللّٰه تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٨٠).

أيُّها المُسلمونَ: لا يَظُنَّنَّ الذينَ يَبخَلُونَ بِما أنعمَ اللّٰهُ به عليهم تفضُّلاً منهُ؛ فهَؤلاءِ جاؤوا إلى الحياةِ لا يَملكُونَ شيئاً؛ فلا يحسَبنَّ أنّ هذا البُخلَ خيرٌ لهم؛ بلْ هُو شَرٌّ لهُم؛ لأنّ هذا المالَ الذي جَمعُوه سيكونَ (طَوقًا من نارٍ) يُوضَعُ في أعناقهِم يومَ القيامة، وسيكون (شجاعاً أقرعَ) كما ذَكَرَ البُخاريُّ من قَولِه صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ؛ أيّ: حَيَّةً كبيرةً مُرعبةً ليسَ على رأسِها شَعرٌ من كثرةِ السُّمِّ، ولطُولِ عُمُرِها، ولتلكَ الحيَّةُ غدَّتانِ مملوءتانِ من السُّمِّ- والعياذُ باللّٰهِ تعالى- يأكُلُ بِشِدْقَيْه ويقولُ: أنا كَنْزُكَ، أنا مالُكَ. والشِّدْقُ: جانبُ الفَمِ.

إخوةَ الإسلامِ والعَقيدة: لقد جاء الوعيدُ الشديدُ، والترهيبُ المرعبُ في حقِّ تاركِ الزكاة، وفي حقِّ مَن قصَّرَ وتساهَلَ في أدائها، تحذيراً وإنذاراً، وإبداءً وإعذاراً بأُسلوبٍ ترتعدُ منه الفرائصُ، وتهتزُّ له القلوبُ، وتذوبُ من هَولِه الأفئدةُ، بأُسلوبٍ لو خُوطبَتْ به الجبالُ الصُّمُّ؛ لَخَشَعَتْ وتَصَدَّعَتْ يقولُ اللّٰهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤).

ألَا فلَيسمعْ هذا الوعيدَ الشديدَ أربابُ الأموالِ التي تَجِبُ فيها الزكاةُ المفرُوضةُ؛ ولْيتَصوَّرُوا هذا الموقفَ الرهيبَ؛ فإنّها واللّهِ لا يُحمَى عليها في نارٍ كَنارِ الدُّنيا مع شِدَّتِها وحَرِّها؛ وإنّما يُحمَى عليها في نارِ جهنَّمَ التي يَعْجَزُ عن وصفِها التصويرُ، ويُكْوَى بها الجِسْمُ كُلّهُ، في يومٍ كان مقدارهُ خَمسينَ ألفَ سنَةٍ، فقُولُوا لي باللّهِ عليكُم: مَن ذا الذي يُطيقُ ذلك الهولَ العظيمَ؟!

فاتَّقُوا اللّهَ يا إخوةَ الإسلامِ! وأدُّوا زكاةَ أموالِكُم، طيِّبةً بها أنْفُسُكُم؛ فقَد أعطاكُم اللّهُ المنعِمُ المتفضِّلُ الكثيرَ من النِّعَمِ، وأغدقَ عليكُم المالَ الوفيرَ، وطلبَ منكُم أقلَّ القليلِ، ولو أنَّ أثرياءَ المسلمينَ اليومَ قامُوا بهذهِ الفريضةِ حقَّ القيامِ، وصَرفُوا الزكاةَ في مَصارفِها الشرعيةِ، لم تَجِدُوا على الأرضِ مَن يتسوَّلُ لفَقْرٍ وحاجَةٍ وعَوزٍ.

وكان أميرُ المؤمنينَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللّهُ عنهُ يضعُ مُعادَلةً يَربِطُ فيها بين شِبَعِ وكفايةِ الفُقراءِ وبينَ أداءِ الأغنياءِ لتلكَ النسبةِ الماليةِ المتوازنةِ التي لا تُنْقِصُ من أموالِ الأغنياءِ: «إنَّ اللّهَ تعالى فَرَضَ على الأغنياءِ في أموالِهم بقَدْرِ ما يكفي فُقراءَهُم؛ فإنْ جاعُوا أو عَرُوا أو جَهِدُوا فَبِمَنْعِ الأغنياءِ، وحقٌّ على اللّهِ تعالى أنْ يُحاسِبَهُمْ يومَ القيامةِ ويُعذِّبَهُمْ عليهِ».

أخرجه الإمامُ البيهقيُّ في السُّنَنِ الكُبرى وأبو عُبَيدٍ في الأموالِ.

فأقيمُوا أركانَ دينِكُمُ العظيمِ، ولا تُفَرِّقُوا بينَ رُكْنٍ تَعبُدِيٍّ ورُكْنٍ مُعاملاتيٍّ آخرَ؛ فقَد قالَ صدِّيقُ الأُمَّةِ أبو بكْرٍ رضي اللّهُ عنهُ: «واللّهِ لأُقاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بينَ الصَّلاةِ والزكاةِ..» أخرجه الإمامُ البخاري؛ فـ(الإسلامُ كُلٌّ لا يَتجَزَّأُ).

﴿وتُوبُوا إلى اللهِ جميعاً أيُّه المؤمِنونَ لَعلَّكُم تُفلِحُونَ﴾ والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ السابعة والعِشرونَ

الصَّدَقاتُ

قالَ اللّٰهُ تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦١).

وعن أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللّٰهُ عنه قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَيُّ الصَّدَقَة أَعْظَمُ أَجْراً قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

إخوةَ الإيمانِ والعَقيدَة: إنّ المالَ هُو للّٰهِ تعالى يُؤتيه اللّٰهُ مَن يَشاءُ، ويَنْزِعهُ ممَّنْ يشاءُ، ونحنُ مُستَخْلَفُونَ فيه؛ وقد أمرَنا مالكُ المُلْك أن نُنْفِقَ منهُ قال اللّٰهُ تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد:٧).

وهذا الإنفاقُ في سبيلِ اللّٰهِ تعالى ليسَ أمرَ هَيِّناً عندَ اللّٰهِ عَزَّ وجَلَّ؛ بلْ هو عظيمٌ في مكانته، وأثره، وأجْره؛

- **فأمَّا مكانَتُه:** فهُو صفةٌ من صفات المؤمنينَ، ودليلٌ على تصديقهم باللّٰهِ سُبحانهُ وتعالى قالَ اللّٰهُ تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (السجدة:١٦)، وهو علامةٌ من علامات المتَّقينَ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾. (آل عمران:١٣٤).

- **وأمّا أثرُه:** فهُو سببٌ في الأمانِ من الخوفِ، وسببٌ في السعادة؛ قال اللّه تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٢٦١).

والإنفاقُ سببٌ في نَماءِ المالِ قال اللّه تباركَ وتعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة:٢٧٦).

وهو سببٌ في ادِّخارِ المالِ لصاحبه عندَ اللّهِ عزَّ وجلَّ قالَ اللّهُ تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٦).

وهيَ حِصْنٌ للمالِ ودَواءٌ للمَرضَى فعَن عبدِ اللّهِ بنِ مَسعودٍ رضيَ اللّهُ عنهُ: أنّ النبيَّ صلَّى اللّهُ تعالى عليهِ وآلهِ وصَحبهِ وسلَّمَ قال: «حَصِّنُوا أموالَكُمْ بالزَّكاةِ، وداووا مَرضاكُمْ بالصَّدَقةِ، وأعدُّوا للبلاءِ الدُّعاءَ» أخرجه الإمام الطبرانيُّ.

- وهي تُزيلُ الذُّنوبَ وتَمْحُوها قال رسولُ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ: (الصَّدَقةُ تُطفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وتَدْفَعُ ميتَةَ السُّوءِ) أخرجه الإمام البيهقيُّ في شُعَبِ الإيمانِ.

وهيَ أقْوى وأفْضَلُ من العَزلِ الحَراريِّ من شَمسِ يومِ الموقفِ العظيمِ قال رَسُولُ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ: «كُلُّ امْرِئٍ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ» أخرجه الإمام ابنُ حبَّانَ.

وهي وِقايةٌ من النارِ؛ فعَن عَبدِ اللّهِ بنِ عبَّاسٍ رضيَ اللّهُ عنهُما، عن رَسُولِ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ قال: «اتَّقُوا النارَ ولَو بِشِقِّ تَمرَةٍ» أخرجه الإمام ابنُ خُزَيمةَ. لأجلِ ذلكَ -وغَيرُه أكثرُ من أن يُحصَى- سارعَ الصحابةُ الكِرامُ بالامتثالِ لأمرِ اللّهِ تباركَ تعالى ولهدي رسولِه الكريم صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ، وأكْثَرُوا من الصَّدَقاتِ مع المنافَسةِ بينهُم؛ كأبي بكرٍ الصِّدِّيقِ، وعُمَرَ الفاروقِ رضيَ اللّهُ عنهُما؛

فاتَّقُوا اللّهَ عِبادَ اللّهِ، وأنْفِقُوا من مالِ اللّهِ فرضاً وتطوُّعاً وتَذكَّروا (أنْفِقْ يُنْفَقْ عليكَ) أخرجه الإمام الطبراني. والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ الثامنة والعِشْرونُ

الشِّتاءُ

قال اللّهُ تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم:٣٣-٣٤).

أيُّها المسلمونَ: لقَد أظلَّكُمْ فَصلُ الشِّتاء، وإنَّ من منَّة اللّهِ عليكُم أنْ جعلَ لكُم (سَرابيلَ تَقيكُمُ الحرَّ، وسَرابيلَ تقيكُمُ القرَّ)- البَردَ-؛ فَخلَقَ لكُم من أصواف بَهيمة الأنعام وأوبارها وأشعارها ما فيه وقايةٌ، ودِفءٌ، وزِينةٌ، قال اللّهُ تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (النحل:٥).

كما أنَّ اللّهَ تعالى جعلَ لنا ما نحصلُ به على التدفئَة كالحطب، ومَوارد الطاقة كالشمس والوَقود قال اللّهُ تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (يس:٨٠)، وأخبرَنا ربُّنا تبارك وتعالى بقَوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الواقعة:٧١-٧٤).

فاشْكُروا اللّه تعالى؛ فإنّ الشُّكْرَ سَببٌ في الحفاظ على النِّعم وزيادتها، وإنّ من نِعَم اللّهِ العُظمى علينا بتَنويع الفُصولِ أن يَحصلَ بذلك تذَكُّرُ جهنَّمَ؛ فإنَّ شدَّةَ الحرِّ وشدَّةَ القرِّ يُذكِّران الناسَ بما في جهنَّمَ من الحرِّ والزَّمْهَرير قال اللّهُ تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وِفَاقًا﴾ (النبأ:٢٤إلى٦٢). فجهنَّمُ يُعذَّبُ أهلُها بالحرِّ والزَّمْهَرير؛ فقَد رَوى الإمامُ السُّيوطيُّ عن عَبدِ اللّهِ بن عبَّاسٍ رضيَ اللّهُ عنهُما: الغَسَّاقُ: الزَّمْهَريرُ الباردُ الذي يَحرقُ من بَرده.

أيُّها المؤمنونَ: إنَّنا نعيشُ فصلَ الشِّتاءِ هذا وكثيرٌ من المسلمينَ حولَكُمْ قد ضاقَتْ بهِمُ الأحوالُ، وهُمْ بأمسِّ الحاجةِ إلى العَونِ والمساعَدةِ في إقبالِ الشتاءِ؛ فقدِّمُوا لأنْفُسِكُمْ، وتَفقَّدُوا إخوانَكُم المحتاجِينَ؛ فقَد قال النبيُّ صلَّى اللّٰهُ عليهِ وسلَّمَ: «اتَّقِ النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمرَةٍ» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

فيا مَنْ أزعجَهُ بردُ الشِّتاءِ وأضْناهُ اتَّقِ عذابَ جهنَّمَ؛ إنَّ عَذابَها كان غَراماً، فإنَّ ما تَجِدُه في هذه الدُّنيا من شِدَّةِ البردِ أو شِدَّةِ الحَرِّ؛ إنّما هو شيءٌ يَسيرٌ من حَرِّ جهنَّمَ وزَمْهَريرِها، فكيفَ بكَ يا مَن أسْرفْتَ على نفْسِكَ بالذُّنوبِ والمعاصي.

أيُّها المسلمونَ: إنَّ في كُلِّ شِدَّةٍ عطيَّةً، وقد أعطاكُمُ اللّٰهُ تعالى فُرصَةً لتَجْعَلُوا من الشِّتاءِ رَبيعاً مُزهِراً في حياتِكُم بطاعةِ رَبِّكُمْ؛ فعن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رضيَ اللّٰهُ عنهُ قال: قال رَسُولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليهِ وسلَّمَ: «الشِّتاءُ رَبيعُ المؤمنِ» أخرجه الإمام أحمد، وفي زيادَةٍ عندَ الإمامُ البيهقيِّ: «قَصُرَ نَهارُهُ فَصَامَ، وطالَ ليلُهُ فقَامَ».

وإنَّما كان الشتاءُ ربيعَ المؤمنِ؛ لأنَّه يرتعُ فيه في بساتينِ الطاعاتِ، ويَسكُنُ في ميادينِ العباداتِ، ويُنزِّهُ قلبَه في رياضِ الأعمالِ الميسَّرةِ؛ فَلطُولِ الليلِ يُمكنُ أن تأخُذَ النَّفْسُ حَظَّها من النومِ، ومن ثَمَّ تقومُ بعدَ ذلك إلى صلاةِ الليلِ قال صلَّى اللّٰهُ عليهِ وسلَّمَ: «عَلَيكُمْ بقيامِ الليلِ؛ فإنَّهُ دَأبُ الصَّالحينَ قَبْلَكُمْ، وإنَّ قيامَ الليلِ قُرْبَةٌ إلى اللّٰهِ، ومَنْهَاةٌ عن الآثامِ، وتكفيرٌ للسَّيِّئاتِ، ومَطْرَدَةٌ للدَّاءِ عن الجَسَدِ. أخرجه الإمام الإمام التِّرمذيُّ».

وقال اللّٰهُ تبارك وتعالى مُخاطِباً نبيَّه المُصطفَى عليهِ الصلاةُ والسلامُ -والخطابُ لأمَّته من بَعده-:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الإسراء:٧٩).

والحمدُ للّٰهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ التاسعة والعشرونَ

الصَّيفُ والعَزْلُ الحَراريُّ الأُخْرَويُّ

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (النحل:٨١).

وقال رَسُولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إلى رَبِّها فَقالَتْ: «يا ربِّ؛ أكَلَ بَعضي بَعضاً، فَجَعَلَ لَها نَفَسَين: نَفَسٌ في الشِّتاءِ، ونَفَسٌ في الصَّيفِ؛ فَشِدَّةُ ما تَجِدُونَ من البَردِ من زَمْهَريرِها، وشِدَّةُ ما تَجِدُونَ من الحَرِّ من سُمومِها» أخرجه الإمام ابنُ ماجَهْ.

أيُّها الأحِبَّةُ: إنّ شِدَّةَ الحرِّ ما هيَ إلاّ نَفَسٌ من فَيحِ جهنَّمَ، وسُطوعِ حَرِّها ووَهجِه -نعوذُ باللّٰهِ تعالى منها ومن حَرِّها- فحقٌّ على العاقلِ أن يَسألَ نفْسَه وهو يتَّقي حرَّ الدُّنيا:

ماذا أُعِدَّ لحرِّ الآخرةِ ونارِها؟ ماذا أُعِدَّ لِيَومٍ تدنُو فيه الشَّمسُ من رُؤوسِ الخلائقِ؟

فعن أبي أُمامَةَ الباهليِّ رَضيَ اللّٰهُ عنهُ أنّ رَسُولَ اللّٰهِ صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ قال: «تَدنُو الشَّمْسُ يَومَ القيامَةِ على قَدْرِ ميلٍ، ويُزادُ في حَرِّها كذا وكذا يَغْلِي منها الهوامُ كما يَغْلِي القُدُور، يَعرَقُونَ فيها على قَدْرِ خَطاياهُمْ؛ منهُم مَن يبلغُ إلى كَعبيه، ومِنهُمْ مَن يبلغُ إلى ساقَيه، ومِنهُم مَن يبلغُ إلى وسَطِه،

ومنهُم مَن يَلْجُمُه العَرَقُ» أخرجه الإمام أحمدُ. فأينَ المتَّقُونَ لذاكَ الحَرّ؟!

واللّهُ عزَّ وجلَّ قد أمرَ بالوقايةِ بقَولِه سُبْحانَه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم:٦).

ولَئِنْ كُنّا نتَّقي الحرَّ بالثيابِ الخفيفةِ، ومِن خلالِ تحرِّي الظِّلِّ أو صناعَتِه، أو البِناء، أو أجهزةِ التكييف، أو استعمالِ الماءِ البارِدِ شَرباً واغتسالاً وسِباحة، أو المرَواحِ اليدويةِ أو الكهربائية.

ولَئِنْ كُنَّا نَضْجَرُ مِن تصبُّبِ العَرَقِ مِن أجسامِنا؛ فَهلاَّ تفكَّرْنا بِصناعةِ العَزْلِ الحراري لِذاكَ اليومِ الذي تخرجُ فيه الأجسادُ مِن القُبورِ بلا ثِيابٍ قال اللّه تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس:٣٧).

وإليكُم عِبادَ اللّهِ بعضَ الأسبابِ والطُّرُقِ؛ فمِن ذلكُم:

- إنظارُ المعسِر: قال رَسُولُ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه وسلمَ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ؛ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّه» أخرجه الإمام امُسلِمٌ.

- الصومُ: قال صلّى اللّهُ عليه وسلّمَ: «مَنْ صامَ يَوماً في سَبيلِ اللّهِ؛ باعَدَ اللّهُ بذلكَ اليومِ حَرَّ جهنَّمَ عَنْ وَجْهِه سَبعينَ خريفاً» أخرجه الإمام النَّسائيُّ.

- التفيؤ بِظلالِ اللّهِ تعالى: قال رَسُولُ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللّهُ تعالى في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّهُ: - إمامٌ عادلٌ، - وشابٌّ نشأَ في عبادَةِ اللّهِ، - ورَجُلٌ قلبُهُ مُعلَّقٌ بالمسجِد، - ورَجُلانِ تحابَّا في اللّهِ اجْتَمَعا عَلَيه وتَفرَّقا عَليه، - ورَجُلٌ ذَكَرَ اللّهَ خالياً فَفاضَتْ

عَيناهُ، - ورَجُلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمالٍ فقالَ: إنّي أخافُ اللّهَ، - ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأخْفاها حتّى لا تَعلَمَ شِمالُهُ ما تُنْفِقُ يَمينُهُ. مُتَّفَقٌ عليه.

- الصَّدقةُ: قال رَسُولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وسلّمَ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ» أخرجه الإمام ابنُ حبّانَ.

- وحِفْظُ سُورَتي (البَقرة وآلِ عمرانَ) اللتَين تأتيانِ: (كأنَّهُما غَمامَتانِ سَوداوانِ، أو كأنَّهُما ظُلَّةٌ مِن طَيرٍ صَوافّ[1] تُجادِلانِ عن صاحِبِهِما) أخرجه الإمام التِّرمذيُّ.

فاتَّقُوا اللّهَ عِبادَ اللّهِ، واستخدِمُوا نِعمةَ الصيفِ التي تُنْضِجُ الثمارَ في إعمارِ دُنياكُم وأُخراكُم مِن خلالِ العِلمِ الأصيلِ والعملِ النبيلِ. والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

(١) صواف: جمع صافة أي باسطات أجنحتها في الطيران.

الخُطبةُ الثلاثون

والصُّبحِ إذا تنَفَّسَ

قال اللّهُ تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (التكوير:١٨).

إخوةَ الإيمانِ والعَقيدَة: إنّ الصُّبحَ حَيٌّ يتنفَّسُ؛ أنفاسُه النورُ، والحياةُ، والحركةُ التي تُبَثُّ في كُلِّ حيٍّ، ولُغتُنا العربيةُ الأصيلَةُ الجميلةُ -بِمَدلُولاتِها التعبيريةِ كافّةً- لا تحتوي نظيراً لهذا التعبيرِ عن الصُّبحِ، ورؤيةِ الفجرِ تكادُ تُشعِرُ القلبَ المتفتِّحَ أنَّهُ بالفعلِ يتنَفَّسُ!

الصُّبحُ يتنفَّسُ مع بَدءِ ظُهورِ الشمسِ في الأُفقِ؛ وكأنَّ للصُّبحِ رِئةً كبيرةً تتنفَّسُ عن طريقِ إدخالِ الهواءِ الطَّلْقِ الغنيِّ بالأكسجينِ وهي عمليةُ الشهيقِ؛ حيث تقومُ الرِّئةُ بامتصاصِ الأكسجينِ، وطَرحِ ثاني أوكسيدِ الكربونِ عن طريقِ عمليةِ الزَّفيرِ؛ ولكي تستمرَّ الحياةُ على الأرضِ لا بُدَّ أن تستمرَّ هذه العمليةُ الحيَويّةُ.

وأقسمَ اللّهُ بالصُّبحِ وهذا له دلالةٌ على عَظَمةِ هذا الوقتِ؛ فأعلَى نسبةٍ لغازِ الأوزونِ الذي يُساعدُ على شفاءِ كثيرٍ من الأمراضِ النفسيَّةِ والجسديةِ تكونُ عند الفجرِ، وتقلُّ تدريجيّاً حتّى تضمحلَ عند طُلوعِ الشمسِ.

ونسبةُ الأشعَّةِ فوقَ البنفسجيَّةِ تكونُ أكبرَ ما تكونُ عند الشروقِ وهي الأشعَّةُ التي تُحرِّضُ الجِلْدَ على صُنعِ الفيتامين (د).

وتأمَّلُوا أحبَّتي في اللّهِ إلى أولئكَ الذينَ لا يَستيقظُونَ على صلاة الفجْرِ؛ فقد أوردَ البُخاريُّ أنَّه ذُكرَ عندَ النبيِّ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ رَجُلٌ فَقيلَ ما زالَ نائماً حتّى أصبحَ ما قامَ إلى الصلاةَ فقالَ: «بالَ الشَّيطانُ في أُذُنِه) معناهُ: أفسَدَهُ، وقيلَ: هو إشارةٌ إلى انقياده للشيطانِ، وتحكُّمه فيه، واستخفافه به، وسُخْرِه منه»، ولا يَبعدُ أن يكونُ على الكلامُ النبويُّ على حَقيقته وظاهره.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النبيَّ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلاَثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ؛ بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلاً طَوِيلاً؛ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَتَانِ، فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتِ الْعُقَدُ؛ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ؛ وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ» أخرجه الإمام مسلم.

في لَحظاتِ السُّرورِ عند حُصولِ الإنسانِ على مُكافأةٍ، أو فَرحه بتحقيق أمرٍ سارٍّ، أو تَمتُّعه برُؤيةِ مَنظَرٍ جميلٍ... في كُلِّ هذه الأشياءِ يزدادُ إفرازُ (الدوبامين) وهو (ناقلٌ عَصبيٌّ) يتمُّ إنتاجُه في مناطقَ عديدةٍ من الدِّماغِ، وهو المسؤولُ عن شُعورِ الإنسانِ بالسَّعادةِ.

وإنّ الاستيقاظَ المبكِّرَ عندَ الفجْرِ وقبلَ شُروقِ الشَّمسِ يُساعدُ على إفرازِ كميَّاتٍ كبيرةٍ من (الدوبامين)؛ ممّا يُساعدُ الدِّماغَ على أداءِ عَملِه بكفاءةٍ أعلَى، والتمتُّعِ بسعادةٍ وراحةِ نفْسٍ.

والإعجازُ النبويُّ في قوله عليه الصلاةُ والسلامُ: «فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ» تماماً كما يؤكِّدُ العلمُ الحديثُ أنّ الاستيقاظَ المبكِّرَ- وبخاصَّة قبلَ طُلوعِ الشمسِ- يؤدِّي إلى راحةٍ نفْسيَّةٍ عظيمة.

فهَلْ تبدأ أُخيَّ المؤمنُ منذُ هذه اللحظةِ بِضَبطِ ساعتكَ البيولوجيةِ على الاستيقاظِ لصلاةِ الفجْرِ؛ لِتَتمتَّعَ بنشاطٍ أعلى، وسعادةٍ أكبرَ، ونَفْسٍ طيِّبةٍ! أيُّها المسلمونَ: كُلُّ الناسِ يَبحثُونَ عن طُرُقٍ للنشاطِ والسعادةِ والهناءِ وهذا طريقٌ بيِّنٌ واضِحٌ لَهُما؛ فاحْرِصْ كُلَّ لحرصِ على الاستيقاظِ عند الفجْرِ، وكُنْ كالديِّك -أبي اليَقظانِ- يُحبُّكَ اللّٰه تعالى، وتذكَّرْ قولَه تباركَ وتعالى: ﴿والصُّبْحِ إذا تنَفَّسَ﴾، وتذكَّر قولَ النبيِّ المصطفَى عليه الصلاةُ والسلامُ: «اللهُمَّ بارِكْ لأُمَّتي في بُكُورِها» أخرجه الإمام أبو داودَ. والحَمدُ للّٰهِ ربِّ العالَمِينَ.

الخُطبةُ الحادية والثَّلاثُونَ

أسبابُ الرَّحمَةِ

قال اللّٰه تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:١٥٦)، وقال رَسُولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وسلَّم: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مائَةَ جُزْءٍ؛ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءاً، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءاً وَاحِداً؛ فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ؛ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

أيُّها المسلمونَ: الرَّحمةُ كَمالٌ في الطبيعةِ البَشريةِ تجعلُ المرءَ يَرِقّ لآلامِ الخَلْقِ؛ فيسعَى لإزالتِها، وربُّنا سُبحانَه وتعالى مُتَّصِفٌ بالرَّحمةِ صفةً لا تُشبِهُ صفاتِ المخلُوقينَ؛ فهُو خيرٌ وأرحمُ الراحمينَ، وَسِعَتْ رَحمتُه كُلَّ شيءٍ، قال اللّٰه تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (المؤمنون:١١٨)، وقال اللّٰه تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف:٦٤).

ورحمةُ اللّٰهِ تبارك وتعالى تُستَنْزَلُ بِطاعَتِه وطاعةِ رسُولِه محمَّدٍ صلَّى اللّٰه عليه وسلَّم، والاستقامةِ على أمرِ الإسلامِ الحنيفِ قال اللّٰه تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران:١٣٢)، كما تُستجلَبُ الرحمةُ بِتَقوى اللّٰهِ عزَّ وجلَّ قال اللّٰه تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحُجرات:١٠).

ومِن أسبابِ رحمةِ اللّٰهِ بِعبادِه إقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، والأمرُ بالمعرُوفِ، والنَّهيُ عن المنكَرِ قال اللّٰه تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٧١).

والاستغفارُ سببٌ في رحمةِ اللهِ تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النمل:٤٦).

ومِن أعظَمِ أسبابِ الرحمةِ قولُ الرَّسولِ مُحمَّدٍ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارحَمُوا مَن في الأرضِ يَرْحَمْكُمْ مَن في السَّماءِ» أخرجه الإمام أبو داودَ.

ومِن ذلكَ عيادةُ المريضِ؛ فعَن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ: «مَا عَادَ مُسْلِمٌ مُسْلِماً إلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مِنْ حِينِ يُصْبِحُ إِلَى أَنْ يُمْسِيَ، وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ خَرِيفاً فِي الْجَنَّةِ» قَالَ: فَقُلْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: وَمَا الْخَرِيفُ؟ قَالَ: «السَّاقِيَةُ التي تَسْقِي النَّخْلَ» أخرجه الإمام أحمدُ.

أيُّها المسلمونَ: وإذا كان الأمرُ كذلكَ فإنَّ مِن أَوْلى الناسِ بالرَّحمةِ الوالدَينِ قال اللهُ تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ (الإسراء:٢٤).

ثُمَّ مِن بعدِ ذلكَ الأولادُ؛ فعَن أُسامةَ بنِ زَيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال: كان رَسُولُ اللهِ يأخُذُني فَيُقْعِدُني على فَخِذِهِ، ويُقْعِدُ الحَسَنَ على فَخِذِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُما ثُمَّ يقولُ: «اللهُمَّ ارحَمْهُما؛ فإنِّي ارحمُهُما» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

ثمَّ يأتي حقُّ ذَوي الأرحامِ، وكذلك الصِّغارِ -وخاصَّةً اليَتامى-؛ فإنَّهُم

مُحتاجُونَ إلى عنايةٍ خاصّةٍ: قال رَسُولُ اللّهِ عليه الصلاةُ والسلامُ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا». أخرجه الإمام التِّرمذيُّ.

أيُّها المسلمونَ: إنّ تعاليمَ الإسلامِ وآدابَ الدِّينِ في الرَّحمةِ تتجاوزُ الإنسانَ الناطِقَ إلى الحيوانِ الأعجَمِ؛ فجنَّاتُ عَدْنٍ تفتحُ أبوابَها لامرأةٍ بَغِيٍّ سَقَتْ كَلْباً فَغَفَرَ اللّهُ لَها، ونارُ جهنَّمَ فَتحَتْ أبوابَها لامْرأةٍ حَبَسَتْ هِرَّةً حتّى ماتَتْ؛ «لا هِيَ أطعَمَتْها وسَقَتْها إذ حَبسَتْها، ولا هِيَ تركَتْها تأكُلُ مِن خَشاشِ الأرضِ». أخرجه الإمام البخاري؛

فَتَرَاحمُوا يا عِبادَ اللّهِ يَرحمُكمُ اللّهُ. والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ الثانية والثلاثُونَ

التَّوكُّلُ

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الشورى:٣٦).

إنَّ مِن الإيمانِ تفويضَ الأمرِ للّٰه عزَّ وجلَّ، واستمدادَ العَونِ منهُ دائماً، والاعتقادَ بأنَّه المدبِّرُ الفعَّالُ لما يشاءُ، بيَدِه كُلُّ شيءٍ، وهُو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ؛ لذا فالتوكُّلُ عليه زادُ عبادِه يُثبِّتُهُم عندَ الفَزَعِ، ويدفَعُهم إلى الإقدامِ، ويملأُ قلوبَهُم بالعِزَّةِ مع راحةٍ نفسيَّةٍ، وطُمأنينةٍ قلبيَّةٍ؛ فإذا ما أصابَهُ خيرٌ علِمَ أنَّ اللّٰه ساقَهُ إليه، فحَمِدَهُ وشَكَرَهُ فكانَ خَيراً له، وإنْ أصابَتْهُ شِدَّةٌ أيقنَ أنّ اللّٰه عزَّ وجلَّ هو الذي أصابَه بها اختباراً له وابتلاءً؛ فَصَبَرَ واستَرْجَعَ فكانَ خَيراً لهُ قال اللّٰهُ تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:٥١).

أرشدَ اللّٰهُ المؤمنينَ إلى التوكُّلِ عليه، ووَصْلِ قلوبهم به إذا سَعَوا لِدَفْعِ ضُرٍّ، أو تحقيقِ مَطلَبٍ؛ حتّى تكونَ يدُ اللّٰهِ تعالى فوقَ أيديهم، وعنايتُه فوقَ تصرُّفهم قالَ اللّٰهُ تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ (الطلاق:٣).

عَبْدَ اللّٰهِ: إنَّ اللّٰهَ إنْ تخلَّى عن عَبدٍ فلنْ تُغْنِيَ عنهُ قُوَّتُه، ولا استعدادُه، ولا ذَكاؤه، ولا مالُه، ولا جاهُه، ولا قُوى الدُّنيا بأجمعِها- وإنْ وقَفَتْ مَعَهُ، لكنَّ

المؤمنينَ في أشدِّ الساعاتِ يومَ تشتدُّ الأهوالُ، وتنقطعُ الأسبابُ، لا يلتمسُونَ إلّا عونَ اللّهِ ورعايتَه، وسَرعانَ ما تَزُولُ عنهُم الشّدائد قال اللّه تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران:١٧٣-١٧٤).

قد كان هذا الزادُ عمادَ الأنبياءِ ورَصيدَهُم، وكان قولَهُم عندَ تألُّبِ الخُصوم، وتكالُبِ الأعداءِ قال اللّهُ تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم:١١-١٢).

وتذكَّرُوا حينما كان إبراهيمُ عليه السَّلامُ يَضَعُ زوجَتَهُ وابنَهُ إسماعيلَ عليهما السلامُ في أرضٍ مُجْدِبَةٍ لا زَرْعَ فيها ولا ثَمرَ، ويذهبُ فتقولُ زوجتُه: إلى مَن تَكِلُنا؟ قالَ: «إلى اللّهِ عزَّ وجلَّ». قالتْ: انطلق فإنه لا يضيّعنا[1].

لقد سار المسلمونَ الأوائلُ على منهجِ الأنبياءِ والمرسلينَ؛ فتوكَّلُوا على اللّهِ تعالى، وتعلَّقُوا بحبلِ اللّهِ المتينِ فكانتْ لهُم الرِّيادةُ والسِّيادةُ بإمرةٍ وقيادةٍ رائدِهم وقائدِهم مُحمَّدٍ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ الذي علَّمَهُم أنْ تكونَ أرواحُهُم وقلوبُهُم مُعلَّقةً دائماً بقُوّةٍ عظيمةٍ كبيرةٍ جبَّارةٍ قوّةِ الإيمانِ الحقيقيِّ الكاملِ بـ(لا إلهَ إلّا اللّه)، وهذه أعظمُ قوَّةٍ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، ونحنُ بأمسِّ الحاجةِ لها؛ فعُودُوا إلى اللّهِ وتوكَّلُوا عليه. والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

(١) تفسير الطبري جـ٣ص٦٩ .مؤسسة الرسالة/١٤٢٠/.

الخُطبةُ الثالثة والثَّلاثُونَ

استِقبالُ رَمضانَ المُبارَكِ

قال اللّهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣).

أيُّها المسلمونَ: إنَّ قُلوبَ المتَّقينَ إلى هذا الشهرِ تَحِنُّ، ومن ألمِ فراقِه تَئِنُّ، ومن الخطأ تصوُّرُ الاستعدادِ بأنّه تدبيرُ النفقاتِ، وتجهيزُ الولائمِ للأضيافِ؛ لأنّ هذا الشهرَ شُرِعَ لـلإقبالِ على اللّهِ تبارَكَ وتعالى، والاجتهادِ في مَرضاتِه، وينبغي علينا حينَما نريدُ أن نستقبلَ رمضانَ أن نستذكرَ بعضَ خَصائصِه:

١- رمضانُ فُرصَةٌ لا تُتاحُ كُلَّ عامٍ إلّا مرَّةً واحدةً؛ فلنغتنِمْ هذه الفُرصَةَ، ولنَسْتَفِدْ منهُ كأنَّه آخرُ رمضانَ سيمرُّ علينا، فربَّما يأتي العامُ القادمُ وبعضُنا تحتَ التُرابِ، كما سيَحضرُ رمضانُ هذا العامَ؛ وقد فقَدْنا بعضاً من أحبابِنا، كنّا نتمنَّى كما كانوا يتمنَّونَ أن نكونَ جميعاً معاً في رمضانَ.

٢- والاستبشارُ بقُدومِ خيرِ الشُّهورِ هو استبشارٌ ببَركتِه: أتاكُم شهرُ رمضانَ شهرُ بركةٍ فيه خيرٌ يُغشِّيكُمُ اللّهُ فيُنزلُ الرَّحمةَ، ويَحُطُّ فيه الخطايا، ويستجيبُ فيه الدعاءَ؛ ينظرُ اللّهُ إلى تنافُسِكُمْ، ويُباهي بكُم ملائكَتَه؛ فأرُوا اللّهَ من أنفسِكُم خيراً؛ فإنَّ الشَّقِي مَن حُرِمَ فيه رحمةَ اللّهِ عزَّ وجلَّ. أخرجه الإمام الطبرانيُّ. وهذا الحديثُ الشريفُ أصلٌ في تهنئةِ الناسِ بعضِهم بعضاً بشهرِ رمضانَ المبارَكِ.

٣- وشهرُ رمضانَ المبارك محطَّةٌ للتَّنافُسِ والسِّباق، قال الإمامُ الحسنَ البَصريُّ رحمهُ اللّٰه تعالى: «إنّ اللّٰه جعلَ شهرَ رمضانَ مضماراً لخلْقه يَستبِقُونَ فيه بطاعَته إلى مَرضاته؛ فَسبقَ قومٌ فَفازُوا، وتخلَّفَ آخَرُونَ فَخابُوا! فالعَجَبُ من اللاعبِ الضاحك في اليومِ الذي يفوزُ فيه المحْسِنُونَ! ويخْسَرُ فيه المبطلُونَ[1]!».

٤- وهو شهرُ الغُفرانِ؛ من خلالِ الصيامِ والقيامِ والمساهمةِ في إطعامِ الصائمينَ عند الإفْطار.

٥- وهو شهرُ العتقِ من النِّيرانِ، وهو شهرٌ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شَهْرٍ.

٦- وهو شهرُ الفرحةِ المزدوجة؛ فللصائم (فَرحتانِ يَفرحهُما إذا أفطرَ فَرِحَ بِفطرِه، وإذا لقِيَ ربَّهُ فَرِحَ بِصَومِه) أخرجه الإمام مسلمٌ.

٧- وهو شهرُ الشفاعة عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ؛ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ؛ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ» أخرجه الإمام الحاكمُ..

أيُّها المسلمونَ: ينبغي علينا أنْ نضعَ مَنهجاً قويماً نَسيرُ عليه في رمضانَ، ويتضمَّنُ ذلك المنهجُ نظاماً لعَملِ اليوم والليلة؛ فخَطِّطْ لنَفْسكَ كَمْ ستقرأُ من كتابِ اللّٰه؟ وكمْ ركعةً نافلةً ستقومُ؟ وخَصِّصْ وقْتاً للدُّعاءِ عندَ الإفطارِ، ووقْتاً آخرَ للاستغفارِ عندَ السَّحَرِ. وضعْ نظاماً تضبطُ فيه أوقاتَ نومِ الليلِ والقيلولةِ في النهارِ حسبَما يُناسبُكَ.

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي جـ١ ص٢٣٦، دار المعرفة بيروت

فيا عبدَ اللّٰهِ: جدِّدْ حياتكَ، وغيِّر مِن عادتِكَ؛ خاصَّةً تلك العاداتِ القبيحةَ التي يقومُ بها كثيرٌ مِن الناسِ في السِّرِّ وفي العَلَنِ؛ فرمضانُ مدرسةُ الإرادةِ والتَّقوى، ومدرسةُ القرآنِ والغفرانِ؛ فبادِرْ أُخَيَّ كي تكونَ مِن المجدِّينَ المجتهدِينَ؛ حتى تكونَ من الفائزينَ بجنَّاتٍ ونَهَرٍ في مَقعَدِ صِدقٍ عندَ مَليكٍ مُقتَدِرٍ. والحَمدُ للّٰهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ الرابعة والثَّلاثُونَ

خُطبةُ عيدِ الفِطْرِ السَّعيدِ

اللّهُ أكبَر (تِسْعاً).

اللّهُ أكبرُ هذا يومُ عيدِ الفِطْرِ.

اللّهُ أكبرُ ما كبَّرَ المسلِمُونَ في المشارقِ والمغارِب وفي كُلِّ قُطْرٍ.

اللّهُ أكبرُ تكبيرٌ نُزَيِّنُ فيه مطلعَ هذا النَّهارِ يُنوَرُ به القلبُ ويَنشرِحُ الصَّدرُ.

اللّهُ أكبرُ على ما هدانا اللّهُ للصِّيامِ والقِيامِ؛ فَلَهُ الحمدُ، ولهُ الشُّكْرُ.

اللّهُ أكبرُ على فُسْحَةٍ عَرَفْناها لِلمَرْضى والعاجِزينَ عن الصَّومِ تُعرِّفُنا أنَّ الإسلامَ دِينُ اليُسْرِ.

اللّهُ أكبرُ على شَهرٍ فيه أيَّامُ اللّهِ العظيمةِ؛ كفَتحِ مكَّةَ ويومِ بَدْرٍ.

اللّهُ أكبرُ على ما أعدَّهُ اللّهُ لنا مِن فَرحتَينِ؛ فَرحةٍ لِقائِه، وفَرحَةٍ حين الفِطْرِ.

اللّهُ أكبرُ على ما تَدَرَّبْنا عليه مِن تقويةِ الإرادةِ ودُروسِ الصَّبْرِ.

اللّهُ أكبرُ على نِعمَةِ ليلةِ القَدْرِ؛ التي هي خَيرٌ مِن ألفِ شَهْرٍ.

اللّهُ أكبرُ على طُهْرةٍ للمُؤمِنينَ مِن كُلِّ ذَنبٍ وكُلِ وِزْرٍ.

اللّهُ أكبرُ لِما أعدَّ لنا مِن بابِ الرَّيّان وخَفِي الأجْرِ.

اللّهُ أكبرُ إنّها جنّاتٌ ونهرٌ فيها الحُورُ الحِسانُ بِكُلِ خَيمةٍ وكُلِّ قَصْرٍ.

اللّهُ أكبرُ على تقوى تعلَّمْناها لا ينبغي لنا أنْ نَنْساها فيما تبقَّى لنا مِن

عُمُرٍ. وبَعدُ:

يقولُ اللّهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون:٦٠-٦١).

تعلَّمْنا في رمضانَ أنّ سِلعةَ اللّهِ الجنَّةَ هيَ سِلعةٌ غاليةٌ، وإنّ الإقدامَ على أيَّةِ سلعَةٍ لشرائها يحتاجُ إلى عِوَضٍ قال اللّهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (التوبة:١١١).

ورُتْبةُ الإحسانِ هي ثمنٌ عظيمٌ لهذه السِّلعة، إحسانُكَ بمُراقبةِ اللّهِ وعبادته كأنَّكَ تراهُ؛ فإنْ لم تكُنْ تراهُ؛ فإنَّهُ يَراكَ، فإنْ قَبِلَ منْكَ ما قدَّمْتَهُ برحمةِ اللّهِ؛ فقَد نَجَحْتَ وأفلَحْتَ؛ فانظُر وتأمَّلْ ما قدّمْتَ قال اللّهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحديد:١٨).

فيا مَن اجتهَدتْ وصُمْتَ وقُمْتَ تقبَّلَ اللّهُ منكَ، وزادكَ هُدىً؛ فإنْ كُنْتَ ممَّن وفّقَهُم اللّهُ تعالى للطَّاعاتِ في رمضانَ؛ فقَد بَقِيَ أنْ تدعُو اللّهَ تعالى أن يقبلَ العَملَ ويجعلَه خالصاً، ويُثيبَكَ عليه؛ فإنَّ من صفاتِ الصَّالحينَ أنَّهُم لا يَغتَرُّونَ بعَملٍ، ولا يُلهيهِم أملٌ؛ بلْ في قُلوبهم وَجَلٌ، يَخافُونَ بَغتةَ الأجَلِ.

فعَن عَائشَةَ زَوْجِ النَّبيِّ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّه صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ عَنْ هَذه الآيَة ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قَالَتْ عَائشَةُ: أَهُمُ الَّذينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرقُونَ. قَالَ: «لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ؛ وَلَكنَّهُمُ الَّذينَ يَصُومُونَ، وَيُصَلُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ يُقْبَلَ منْهُمْ؛ أُولَئكَ

الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ» أخرجه الإمام التِّرمذيُّ.

فأخْلِصُوا واستقِيمُوا وأحسِنُوا في أعمالِكُم يا عِبادَ اللّهِ، وكُونُوا على تَوبةٍ من الذُّنوبِ الماضيةِ قبلَ رمضانَ، واحذَرُوا من أن يُغْرِيكُمُ الشَّيطانُ، ويُفْسِدُكُمْ؛ فهُو لكُم عَدوٌّ مُبِينٌ.

اللّهُ أكبر. اللّهُ أكبرُ. اللّهُ أكبر. والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ الخامسة والثَّلاثُونَ

كَمالُ الشَّريعةِ السَّمْحةِ

قَالَت الْيَهُودُ لعُمَرَ لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ يَهُودَ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ نَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِى أُنْزِلَتْ فِيهِ لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيداً. قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَقَدْ عَلِمْتُ الْيَوْمَ الَّذِي أُنْزِلَتْ فِيهِ، وَالسَّاعَةَ، وَأَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم حِينَ نَزَلَتْ: «نَزَلَتْ لَيْلَةَ جَمْعٍ وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بِعَرَفَاتٍ».

أخرجه الإمام مُسلِمٌ.

هذه آخرُ آيةٍ أنزلَها اللهُ تعالى في الأحكامِ؛ ليُعْلِنَ كمالَ الرسالةِ، وتمامَ النِّعمةِ، ويقفُ المؤمنُ أمامَ هذه الكلماتِ العظيمةِ؛ فيستعرضُ ما تحملُه في ثناياها من حقائقَ كبيرةٍ، وتوجيهاتٍ عَميقةٍ:

إنَّ المُؤمنَ يقفُ أوّلاً: أمامَ إكمالِ هذا الدِّينِ؛ يَستعرِضُ موكبَ الإيمانِ منذُ فجْرِ البشريةِ إلى رسالةِ النبيِّ الأُمِّيِّ إلى البَشَرِ أجمعينَ، وسَيجدُ كُلُّ رسولٍ أنَّه إنّما أُرسِلَ لقومِه لمَرحلةٍ من الزَّمانِ؛ حتّى إذا أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنْ يختمَ رسالاتِه إلى البَشرِ؛ أرسلَ مُحمَّداً إلى النَّاسِ كافَّةً برسالةٍ خالدةٍ للعالَمينَ.

قال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى

بُنْيَاناً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ - قَالَ - فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» أخرجه البخاري.

ويَقِفُ المُؤمِنُ ثانياً: أمامَ إتمامِ نعمةِ اللّهِ على المؤمنينَ، بإكمالِ هذا الدِّينِ؛ وهيَ النِّعمةُ التامَّةُ التي لا يُدرِكُ حقيقتَها، ولا يَقْدُرُ قَدْرَها مَن لم يعرِفْ حقيقةَ الجاهليةِ؛ ولقَد كان العربُ المخاطَبُونَ بهذا القُرآنِ الكريمِ أوَّلَ مَرَّةٍ، قد ذاقُوا الجاهليّةَ فأنْقَذَهُمُ الإسلامُ العظيمُ من سَفْحٍ ومُنحَدَرٍ -حضيضِ- الجاهليةِ، وأنشأَ منهُم أمَّةً؛ تطلُّ من أعلى القِمَمِ على البَشريَّةِ كُلِّها، وتُرَحِّبُ بِكُلِّ مَن يرغَبُ بالصُّعودِ إليها عَبْرَ كُلِّ الأزمانِ وفي كُلِّ البُلدانِ.

وتعترِفُ «فابيان» عارضةُ الأزياءِ الفرنسيةِ المشهُورةِ فتقولُ بعدَ إسلامِها: «لولا فَضْلُ اللّهِ عليَّ ورَحمتِه بي لَضاعتْ حياتي في عالَمٍ يَنْحدِرُ فيه الإنسانِ ليُصبِحَ مُجرَّدَ حَيوانٍ؛ كُلُّ همِّه إشباعُ رَغباتِه وغَرائزِه بلا قِيَمٍ ولا مَبادِئَ».

ويقِفُ المُؤمِنُ ثالثاً: أمامَ رعايةِ اللّهِ وعِنايتِه بهذهِ الأُمَّةِ؛ حتّى ليختارَ لها دينَها ويَرتضيهِ، وهو تعبيرٌ يَشي بِحُبِّ اللّهِ فينبغي أنْ تُدْرِكَ دائماً قيمةَ هذا الاختيارِ، ومِن ثَمَّ تَحرِصُ على الاستقامةِ على هذا الدِّينِ قَدْرَ استطاعتِها مُستعينةً باللّهِ تعالى، وربَّما يتركُ اللّهُ عزَّ وجلَّ الذينَ لم يتَّخِذُوا الإسلامَ ديناً لهُم، يَرتكِبُونَ ما يرتكِبُونَ ويُمْهِلُهُمْ ويُؤَخِّرُهُمْ ﴿إِلَىٰ يَوْمٍ

تَشخَصُ فيه الأبصارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ لكنَّ الذينَ عَرَفُوا هذا الدِّينِ، ثمَّ تركُوه، أو رَفَضُوه، واتَّخَذُوا لأنفُسِهم مناهِجَ في الحياةِ غيرَ المنهجِ الذي ارتضاهُ لهُم اللّٰهُ فلن يَترُكَهُم اللّٰهُ أبداً؛ حتّى يَذُوقُوا وَبالَ أمرِهِم بمَعِيشَةٍ ضَنْكاً.

قالَ اللّٰهُ تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾. والحَمدُ للّٰهِ ربِّ العالَمِينَ.

الخُطبةُ السَّادسةُ والثَّلاثُونَ

خُطبةُ عيدِ الأضْحَى المُبارَكِ

اللّهُ أكبرُ تسعاً:

أمَّا بَعدُ: إنّ الحِلْمَ من أرقَى وأنبلِ الأخلاقِ والشَّمائلِ؛ فقَد وَصَفَ اللّهُ به نفْسَه، وجَعلَه خُلُقاً لأوليائه ومُبلِّغي رسالاته؛ فقالَ تعالى عن خليله إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسَّلامُ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة:١١٤).

وقال عن إسماعيلَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (الصَّافَّات: ١٠١).

هذا خليلُ الرَّحمنِ الخاشعُ الهادئُ المقطُوعُ من الأهلِ والقَرابةِ يُرزَقُ في هَرَمِه بغُلامٍ طالَما تطلَّعَ إليه؛ فلمَّا جاءهُ وما كادَ أن يأنَسَ به، ويبلُغَ معهُ السَّعيَ في حوائجه؛ حتّى يَرَى في مَنامه أنَّه يَذْبحُه رؤيا وَحيٍ لا أضغاثَ أحلامٍ وفي اطمئنانٍ وتسليمٍ عَجيبَين: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ (الصَّافَّات: ١٠٢).

والأمرُ شاقٌّ ما في ذلكَ شَكٌّ فهُوَ لا يُطلَبُ منهُ أنْ يُكَلِّفَ ولدَه أمراً تنتهي به حياتُه؛ إنّما يطلُبُ إليه أن يتولّى ذَبْحَه بيَدِه وهُوَ مع هذا لا يأخُذْ ابنَهُ على غِرَّةٍ وغَفْلَةٍ ليُنفِّذَ إشارةَ رَبِّه وينتهي إنَّ الأمرَ في حسِّه هكذا رَبُّهُ عزَّ وجلَّ يُريدُ فليكُنْ ما يُريدُ إنَّه يُحبُّ لابْنِه أن يتذوَّقَ لَذَّةَ التَّطوُّعِ التي ذاقَها؛ وأنْ ينالَ الخيرَ الذي يَراهُ هو أبْقَى من الحياة. فما يكونُ من أمرِ الغُلامِ إلّا إنَّه يرتقي إلى الأُفقِ الذي ارتقَى إليه من قبَلِ أبُوه: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا

﴿تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصَّافَّات: ١٠٢). يتلَقَّى الأمرَ في رِضَىً، ويَقينٍ، ووِمودَّة القُربى؛ فَهَولُ الذَّبحِ لا يُفزِعُهُ، ولا يُفقِدُه رُشْدَه، ولا أدَبَه ومَودَّتَه ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ فهُو يَشْعُرُ أنّ الرُّؤيا إشارةٌ، وأنّ الإشارةَ أمرٌ.

ويتطوَّرُ المشهَدُ من الحِوارِ والكلامِ إلى التنفيذ: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (الصَّافَّات: ١٠٣). فنبيُ اللّهِ إبراهيمُ عليه السلامُ يُمضي، ويَكُبُّ ابنَهُ على جَبينِه استِعداداً، وإسماعيلُ عليه السلامُ لا يَتحرَّكُ امتناعاً، وقد وَصَلَ الأمرُ إلى أن يكونَ عَياناً، واستسلَما لأمرِ اللّهِ؛ فتَمَّ الابتلاءُ، وانتهَى ونتائجُه قد ظَهرَتْ وجاءَ الفِداءُ العظيمُ.

عِبادَ اللّهِ: كمْ يَمُرُّ على المرءِ في هذه الحياةِ من مواقفَ تُؤلِمُه، أو تُخرِجُه عن حُدودِ الاعتدالِ، وتُؤدِّي به إلى الانفعالِ، ثمَّ قد يتبعُ ذلك تَصرُّفاتٍ لا يَحمَدُها في عاقبةِ أمرِه، ولو اتَّصَفَ بالحِلْمِ لَما نَدِمَ على شَيءٍ من ذلكَ؛ ولذا فإنَّ من رُسوخِ الإيمانِ، ورَجاحةِ العَقلِ، وقوَّةِ العزيمةِ أن يَملكَ المرءُ نفْسَهُ عندَ الغَضَبِ؛ فبالحِلْمِ يا عِبادَ اللّهِ تُستجلَبُ الكثيرُ من المصالحِ والخَيراتِ، وتندفِعُ كثيرٌ من الشُّرورِ والآفاتِ، وكفَى بالحِلْمِ فضْلاً وشَرفاً أنَّه خُلُقٌ يُحبِّهُ اللّهُ تعالى ورسولُه الكريمُ.

فاتّقُوا اللّهَ عِبادَ اللّهِ واتَّصِفُوا بالحِلْمِ، وتحلَّوا بالعَفْوِ والصَّفْحِ خاصَّةً عن أُولي الأرحامِ، والأهلِ، والجيرانِ.

اللّهُ أكبرُ هذا يومُ العيدِ الأكبرِ وشَعائرِ الدِّينِ القويمِ الأنورِ، ومن عظيمِ الفضْلِ والإنعامِ أنْ أباحَ اللّهُ بهيمةَ الأنعامِ ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج: من٢٨). واللّهُ أكبر. اللّهُ أكبر. اللّهُ أكبر. والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ السابعة والثَّلاثُونَ

الإسْراءُ والمِعراجُ

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

أيُّها المُسلمُونَ: لقَد أجْرَى اللّٰه تعالى لنبيِّنا مُحمَّدٍ صلَّى اللّٰه عليه وسلَّمَ مُعجِزاتٍ وخَوارقَ للعادات كثيرةً، ومن بينها مُعجِزةُ الإسراء به من المسجد الحرام بمكَّةَ المكرَّمة إلى المسجد الأقصَى في الأرض التي بارَكَ اللّٰهُ فيها وهيَ بلادُ الشَّام، ثمَّ المعراجُ به إلى السَّموات العُلا، وفَرضَ الصَّلاةَ على هذه الأُمَّة من فَوق سَبْع سَموات.

وللربط بين أرض مَكَّةَ المباركَة وأرض الشَّام المباركة دلالةٌ عظيمةٌ للناس؛ فمَن يُعظِّمْ المسجدَ الحرامَ ينبغي أن يُعظِّمَ المسجدَ الأقصَى، ومَن يُحبُّ المسجدَ الحرامَ ينبغي أن يُحبَّ المسجدَ الأقصَى ومَن يُحبُّ مكَّةَ المكرَّمةَ التي هيَ أحبُّ البِقاعِ إلى رسولِ اللّٰهِ صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ ينبغي أن يُحبَّ بلادَ الشَّام المباركَة والتي بدأَ فتحَها آخرَ زمَنِ الصِّدِّيقِ، واكتمَلَ فتحُها زمنَ الخليفة عُمَرَ بنِ الخطَّاب رَضيَ اللّٰه عنهُ.

وكانتْ أوَّلُ طلائع الفتْحِ تحت إمْرَةِ يَزيد بن أبي سُفيانَ الذي أوصاهُ الصِّدِّيقُ بوصايا حكيمة إنسانيَّةٍ خالدة، وضَمَّ له مَدَداً بقيادة رَبيعةَ بنِ عامرٍ وشُرحْبيل بن حَسَنَةَ، ثمَّ طلبَ الصِّدِّيقُ رضيَ اللّٰهُ عنهُ المدَدَ من أهلِ مكَّةَ والطائف، وأمّرَ الصِّدِّيقُ عليهم عَمْرَو بنَ العاص وأوصاهُ خيراً، ثمَّ أرسلَ الصِّدِّيقُ إلى خالد وأمرَه بالتوجُّه إليهم في الشَّام.

وبعدَ وَفاةِ الصِّدِّيقِ جعلَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللّهِ عنهُ أبا عُبيدَةَ بنِ الجرَّاحِ أميراً على الأمراءِ، وعلى يَدِه فتُحتْ دمشقَ عُنوةً.

تمَّ فتحُ بيتِ المقدسِ صُلْحاً سَنةَ ستّ عَشرَ للهجرَةِ مَسْرَى رسولِ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ وكان كاتبُ الصُّلْحِ أميرُ المؤمنينَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللّهُ عنهُ وزمنَها قال: «إنّا قومٌ أعزَّنا اللّهُ بالإسلامِ؛ فلَنْ نَلْتَمِسَ العِزَّ بِغَيرِه[1]».

وبَعدَ بيتِ المقدسِ فُتِحَتْ بقيَّةُ أرضِ الشَّامِ المباركَةِ في مواقفَ بديعةٍ عَجيبةٍ مُذهلَةٍ لتلاميذِ مُحمَّدٍ رسولِ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليهُ وسلَّمَ ومنها ما كانَ عُنوةً ومنها ما كانَ صلْحاً كحماةَ وشَيزَر.

ومن الأدلَّة على بَركة هذه البلادِ قولُه سُبحانَه وتعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:٧١). أيّ: بلاد الشَّام، وقولُه تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء:٨١).

وعن عَبدِ اللّهِ بنِ حَوالَة الأزديِّ أنّه قال: يا رسولَ اللّهِ، خِرْ لي بَلَداً أكونُ فيه؛ فلو أعلَمُ أنَّكَ تبقَى لمْ أخْتَرْ عنْ قُرْبِكَ شَيئاً. قال: «عليكَ بالشَّامِ. فلمّا رأى كراهيَتي للشَّامِ قال: أتدري ما يقولُ اللّهُ في الشَّامِ؟ إنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: يا شامُ أنتِ صَفْوَتي من بلادي، أُدخِلُ فيكِ خيرَتي من عبادي. إنّ اللّهَ قَدْ تكَفَّلَ لي بالشَّامِ وأهْلِه» أخرجه الإمام الطبرانيُّ بإسنادٍ صَحيحٍ.

فتذكَّرُوا يا عبادَ اللّهِ أينَ أنتُم؟

أنتُمْ في صَفْوةِ البلادِ، أنتُمْ في بلادِ الشَّامِ. والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ٧ص٧٠ دار إحياء التراث العربي.

الخُطبةُ الثامنة والثَّلاثُونَ

البَركَةُ

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف:٩٦).

أيُّها المسلمونَ: إنَّ البَركةَ تعني ثُبوتَ الخيرِ الإلهيِّ في الشيءِ؛ فإنّها إذا حلَّتْ في قليلٍ كثَّرتهُ، وإذا حلَّتْ في كثيرٍ نَفعَ، ومَن تأمَّلَ في حالِ الصالحينَ والأخيارِ يَجدُ البركةَ ظاهرةً في أحوالهم؛ فتجدُ الرَّجُلَ منهُم دَخْلُه الماديُّ في مستوى الآخَرينَ؛ لكنَّ اللّٰه بارَك في مالِه؛ فهُو مُستقرُّ الحالِ لا يَطلبُه الدَّائنُونَ.

والبَركةُ إذا أنْزَلَها اللّٰه تباركَ وتعالى تَعُمُّ كلَّ شيءٍ؛ ولهذا كان البحثُ عن البركةِ مُهمّاً، وضَرورياً، وحَيويّاً.

وهيَ على أربعةِ أقسامٍ:

- بركَةٍ في الأقوالِ والأعمالِ.
- وبَركَةٍ في الأطعمةِ والأشربةِ.
- وبركَةٍ في الأزمنةِ والأمكنةِ.
- وبركَةٍ في الأشخاصِ؛

أمّا القسمُ الأوّلُ: فَلَهُ تطبيقاتٌ كثيرةٌ وذلك كَقراءةِ القُرآنِ الكريمِ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (ص:٢٩).

ومنها أيضاً الدُّعاءُ: قد علَّمَنا نبيُّنا صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ أن نَدعُوَ للمُتزوِّجِ فنقولَ: «بارَكَ اللّٰهُ لكَ، وبارَكَ عليكَ، وجَمَعَ بينكُما في خَيرٍ» أخرجه الإمام التِّرمذيُّ.

وكذلك الدُّعاءُ لمَن أطعَمَنا: «اللهُمَّ بارِكْ لَهُمْ فيما رَزَقْتَهُمْ، واغْفِرْ لَهُمْ، وارْحَمْهُمْ» أخرجه الإمام أبو داودَ.

ومنها الصِّدقُ في المعامَلَة قال صلّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: «البيِّعانِ بالخيارِ ما لم يتفرَّقا؛ فإنْ صَدَقا وبيَّنا بُورِكَ لَهُما في بَيعِهما، وإنْ كَتَما وكَذَبا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيعِهما» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

ومنها اتِّباعُ السُّنَّةِ الشريفة في كُلِّ الأمورِ؛ فإنّها لا تأتي إلّا بخَيرٍ.

وأمّا القسمُ الثاني: فهيَ بَركةُ الأطعمةِ والأشربةِ؛ وذَلكَ نَحوَ قوله سُبحانَه وتعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ (التين:١). وبَركةُ التَّمرِ، والعَسَلِ، والحبَّةِ السَّوداءِ، والخَلِّ، قال عليه الصَّلاةِ والسَّلامُ: (نِعْمَ الإدامُ الخَلُّ) أخرجه الإمام أبو داودَ. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسطَ الطعامِ؛ فكُلُوا من حافَّتَيه، ولا تأكُلُوا من وَسطِه» أخرجه الإمام التِّرمذيُّ.

وأمّا القسمُ الثالثُ: فهيَ الأزمنةُ والأمكنةُ؛ وذلك كوقتِ الفجْرِ فإنجازُ الأعمالِ في أوَّلِ النهارِ بركةٌ؛ ودعا عليه الصلاةُ والسلامُ بالبَركةِ في ذلكَ: «اللهُمَّ بارِكْ لأُمَّتي في بُكُورِها» أخرجه الإمام أبو داودَ.

- وقتَ الضُّحَى
- والعَشْرِ الأوَّلِ من ذي الحِجَّةِ

- وبركَةِ رمَضانَ.

- والأسْحارِ.

وأمّا الأمكنَة وذلك كَبَرَكَةِ مكَّة المكرَّمة، والمدينة المنوَّرة، والشَّام، واليَمن، وجَبلِ الطُّورِ، والمساجِد التي هي خيرُ بِقاعِ الأرضِ وأحبُّها إلى اللّهِ تعالى.

وأمّا القِسمُ الرَّابعُ: فَبَرَكةُ الأشخاصِ؛ كأشخاصِ الأنبياءِ والمرسلينَ ولو عُدْنا إلى السِّيرةِ النبويَّة لَوَجَدْنا الكثيرَ من تلكَ البَركة؛ وحتّى في طُفولته صلَّى اللّهُ عليه وسلّمَ، وقال صلَّى اللّهُ عليه وسلّمَ: «البركَةُ معَ أكابرِكُمْ» أخرجه الإمام الحاكمُ. أيّ: مع أكْبَرِكُم عُمُراً؛ وهذا حَثٌّ على طلبِ البركة في الأمورِ والتبَحبُح في الحاجات بمُراجَعة الأكابرِ؛ لِمَا خُصُّوا به من سَبْقِ الوُجودِ، وتَجْربة الأُمورِ، ومن هَؤلاءِ (أهلُ العِلْمِ والعَملِ وأهلِ القُرآنِ): قال رسولُ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ: «إنَّ للّهِ أهلينَ من النَّاسِ» قالُوا: مَن هُمْ يا رسولَ اللّهِ؟ قال: «أهلُ القُرآنِ هُمْ أهلُ اللّهِ وخاصَّته» أخرجه الإمام أحمدُ.

اللهُمَّ بارِكْ لنا فيما أعْطَيتَنا. والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ.

الخُطبةُ التاسعةُ والثَّلاثُونَ

مَفاتِيحُ الرِّزْقِ

قالَ اللّٰهُ تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ (الذَّاريات،٢٢-٢٣).

أيُّها المسلمونَ: لَفتَةٌ عجيبة؛ فمَع أنّ أسبابَ الرِّزقِ الظاهرةِ قائمةٌ في الأرضِ؛ حيث يَكدُّ فيها الإنسانُ فإنَّ القُرآنَ يَرُدُّ بَصَرَ الإنسانِ ونفْسَه إلى السَّماءِ والغَيبِ إلى اللّٰهِ تعالى؛ ليتطَلَّعَ هُنالكَ إلى الرِّزْقِ المقسُومِ.

والقلبُ المؤمنُ يُدرِكُ هذه اللفتةَ العجيبةَ على حَقيقتِها؛ ويعرفُ أنّ عليه السعيَ بالأسبابِ وهُو يستيقنُ أنّها ليستْ هي التي تَرْزُقُه؛ فَرِزقُه مُقدَّرٌ في السَّماءِ، وما وَعَدَهُ اللّٰهُ لابُدَّ أن يكونَ، وأسبابُ الرِّزقِ وَحْدَها لا تَرزُقُ ولا تمنعُ؛ إلّا بأمْرٍ من الرَّزَّاقِ، وهيَ على نَوعَينِ:

أسبابٍ ماديَّةٍ يَستوي فيه النَّاسُ كافَّةً على اختلافِ عَقائدِهم قالَ اللّٰهُ تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الرعد،٢٦).

وأسبابٍ إيمانيَّةٍ وهذه لا يَذُوقُ طعمَها ولا يَعرِفُ حلاوَتها إلّا المؤمنونَ:

١- التَّقْوى والتَّوكُّلُ قالَ اللّٰهُ تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:٣-٢). قال صلَّى اللّٰه عليه وسلَّم: «لو أنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ على اللّٰهِ حَقَّ توكُّلِه لَرُزِقْتُمْ كما يُرزَقُ الطَّيرُ؛ تَغدُو خِماصاً، وتَرُوحُ بِطاناً» أخرجه الإمام التِّرمذيُّ.

٢- الاستغفارُ والاستقامةُ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح:١٠-١٢).

٣- قال صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّم: «مَنْ أكْثَرَ من الاستغفارِ جَعَلَ اللّٰهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، ومِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرجاً، ورَزَقَهُ من حيثُ لا يَحْتَسِبُ» أخرجه الإمام النَّسائيُّ. وقال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (الجن:١٦).

٤- العبادةُ والطاعةُ قال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات:٥٦ إلى ٥٨). وقال صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: «أيُّها النّاسُ؛ إنّي واللّٰهِ ما آمرُكُمْ إلّا بما أمَركُمُ اللّٰهُ به، ولا أنْهاكُمْ إلّا عمّا نهاكُمْ اللّٰهُ عنهُ؛ فأجمِلُوا في الطَّلَبِ، فو الذي نفْسُ أبي القاسمِ بيَدِه إنَّ أحَدَكُمْ لَيَطْلُبُهُ رِزْقُهُ كما يَطْلُبُهُ أجَلُهُ؛ فإنِّ تَعسَّرَ عليكُمْ شَيءٌ منهُ فاطْلُبوهُ بطاعةِ اللّٰهِ عزَّ وجلَّ» أخرجه الإمام الطبرانيُّ.

٥- صلةُ الرَّحِمِ: «مَنْ أحبَّ أنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِه، ويُنْسَأَ لَهُ في أثَرِه؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» أخرجه الإمام البُخاريُّ.

٦- الإنفاقُ في سبيلِ اللّٰهِ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ:٣٩). قال صلّى اللّٰهُ عليه وسلّم: «أنْفِقْ بِلالاً ولا تَخْشَ من ذي العَرْشِ إقلالاً» أخرجه الإمام الطَّبرانيُّ.

٧- الدُّعاءُ والشُّكْرُ قال اللّهُ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (البقرة:١٨٦). وقال اللّهُ تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم:٧).

هذه بعضُ أسبابِ الرِّزقِ الإيمانيَّةِ الدِّينيَّةِ التي لا يَذُوقُ طَعمَها ولا يَعرِفُ حلاوَتها إلّا مَن وحَّدَ اللّه تعالى، وأيقنَ أنَّ خزائنَ اللّهِ لا تنفدُ وأنتُم كذلكَ بإذنِ اللّهِ تعالى. والحَمدُ للّهِ ربِّ العالَمين.

الخُطبةُ الأربَعونَ

مَغالِيقُ الرِّزقِ

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل:١١٢).

وقال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه:١٢٤).

أيُّها المسلمونَ: لقَد ذَكَرْنا في الجُمعةِ الماضيةِ بَعضاً من الأمورِ التي تتسبَّبُ في فَتْحِ الأرزاقِ للعبادِ، وأذَكِّركُم بها (التقوى والتوكُّلُ، والاستغفارُ، والاستقامةُ، والعبادةُ، والطاعةُ، وصِلةُ الرَّحمِ، والإنفاقُ في سبيلِ اللّٰهِ تعالى، والدُّعاءُ والشُّكْرُ)، وأُوجِزُ لكُمُ اليومَ أيُّها الإخوةَ الكلامَ عن الأمورِ التي تتسبَّبُ في غَلْقِ الأرزاقِ على العبادِ وهي كثيرةٌ:

١- ارتكابُ المعاصي؛ فقَد أخرجَ الإمامُ الحاكمُ عن ثَوبانَ رضيَ اللّٰهُ عنهُ قال: قال رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليهِ وسلَّم: «لا يَرُدُّ القَدَرَ إلّا الدُّعاءُ، ولا يَزيدُ في العُمُرِ إلّا البِرُّ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمَ الرِّزْقَ بالذَّنْبِ يُصيبُه». ومن هذه الذُّنوبِ (الزِّنا)؛ فعَن عبدِ اللّٰهِ بنِ عُمَرَ قال: قال رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليهِ وسلَّمَ: (الزِّنا يُورِثُ الفَقْرَ) أخرجه الإمامُ البيهقيُّ.

٢- ومنها السَّرقةُ للمالِ العامِّ؛ فقَد كان من وصيَّةِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضيَ اللّٰهُ عنهُ لِيَزيدِ بنِ أبي سُفيانَ رضيَ اللّٰهُ عنه: «واجْتَنِبِ الغُلولَ؛

فإنَّهُ يُقَرِّبُ الفَقْرَ، ويَدفَعُ النَّصْرَ[1]».

٣- عدمُ أداءِ الزكاةِ قال صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ: «ولمْ يَمنَعُوا زكاةَ أموالِهم إلّا مُنِعُوا القَطْرَ من السَّماءِ، ولولا البهائمُ لم يُمْطَرُوا» أخرجه الإمامُ ابنُ ماجةْ. قال صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّم: «ما من يَومٍ يُصبِحُ العبادُ فيهِ إلّا مَلَكانِ يَنْزِلانِ فيقولُ أحدُهُما: اللهُمَّ أعطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، ويقولُ الآخَرُ: اللهُمَّ أعطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» أخرجه الإمامُ البُخاريُّ.

٤- الكذبُ في المعاملَةِ: فعَن حَكيمِ بنِ حِزامٍ رضيَ اللّهُ عنهُ قال :قال رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم: «البيِّعانِ بالخيارِ ما لم يَتفَرَّقا، أو قالَ: حتّى يَتفَرَّقا؛ فإنْ صَدَقا وبيَّنا بُورِكَ لَهُما في بَيعِهما، وإنْ كَتَما وكَذَبا مُحِقَتْ بركةُ بيعِهما» أخرجه الإمامُ البخاريُّ.

٥- كثْرةُ الحَلِفِ في البيعِ: قال صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّم: «الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ» أخرجه الإمامُ مُسلِم.

٦- ومنها التعامُلُ الرِّبويُّ؛ وذلك لأنّ الرِّبا مُمحِقٌ للأموالِ، مُسبِّبٌ في غَضَبِ اللّهِ عزَّ وجلَّ؛ لقولِه تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة: الآية٢٧).

فاتَّقُوا اللّهَ عبادَ اللّهِ، وأجْمِلُوا في طلبِ الحلالِ قال صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ؛ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ؛ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ) أخرجه ابن ماجة. وقال

(١) ذكره ابن الأثير في كتابه (الكامل) عند حديثه عن فتوح الشام. كذا جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة جـ١ص١٨٩، أحمد زكي صفوت المكتبة العلمية – بيروت.

اللّٰه تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه:١٢٤). وقال سُبحانَهُ تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦١). والحَمدُ للّٰهِ ربِّ العالَمِينَ.

كلمات

لا تظنن أنَّ النجاحَ سَيُقدَّمُ لك هبةً على طَبَقٍ من ذَهَبٍ.

وإنَّ ألَذَّ خُبْزٍ هُو ما حصلَ بعد عَرَقِ الجَبينِ،

وإنّ أهنأَ نومٍ ما كان بعدَ تَعَبٍ،

وإنَّ أحسنَ شِبَعٍ ما سَبَقَهُ جُوعٌ،

وإنَّ الوردَ لا يَفوحُ حتَّى يُعْرَكَ،

وإنَّ العُودَ لا يزكُو حتّى يَحتَرِقَ.

وإنَّ الماءَ الراكدَ يأسَنُ، ويتغيَّرُ طعمُه؛ لكنْ إذا سَرَى طابَ وعَذُبَ.

فالعملَ العملَ، والبِدارَ البِدارَ في الليلِ والنهارِ قبلَ أن تنقضيَ الأعمارُ....

إنَّ المعاصي إذَا كَثُرتَ فَقَدْ تتسبَّبُ في حُصولِ الْهَلاَكِ العَامِّ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ صَالِحُونَ، وعندَئذٍ يكونُ الهَلاكُ طُهْرَةً للمُؤمنينَ ونِقْمَةً على الفاسِقينَ؛ فالصّلاحُ وَحدَهُ لا يكفي؛ لذا لابُدَّ من المصلحينَ الذين يُريدُونَ الخيرَ، ويُقوِّمونَ الاعوجاجَ قَدْرَ ما يَستطيعُونَ ووفقَ شَرْعِ اللّهِ عزَّ وجلَّ يَستنيرونَ، ويُنقِذُونَ الأمَّةَ بأمْرِهم بالمعْرُوفِ، ونهيِهم عن المنْكَرِ قال اللّهُ تعالى حكايةً عن شُعيبٍ عليه السَّلامُ:

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨).

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	5
المقدمة	7
الخطبة الأولى: الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكَرِ وأثرُهُما على الأمَّة	10
الخُطبةُ الثانية: اعملُوا فكُلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ	12
الخُطبةُ الثالثَة: العَملُ	14
الخُطبةُ الرَّابِعَة: الغَبْنُ في الفَراغِ	17
الخُطبةُ الخامسَة: المسؤوليةُ	20
الخُطبةُ السَّادسَةُ: الاستقامةُ	23
الخُطبةُ السَّابعَة: التَّدخينُ	25
الخُطبةُ الثامنَة: الزَّلازلُ	28
الخُطبَةُ التاسعَة: ضَبْطُ اللسانِ	30
الخُطْبةُ العاشرةُ: الحَسَدُ	32
الخُطبةُ الحاديةَ عَشرَ: الكُرُباتُ	35
الخُطبةُ الثانيةَ عَشرَ: الشَّبابُ	38
الخُطبةُ الثالثةَ عَشَر: التكافُل الاجتماعيُّ	41
الخُطبةُ الرابعةَ عَشرَ: الإصلاحُ	44
الخُطبةُ الخامسةَ عَشرَ: إصلاحُ الأنفُسِ	47
الخطبةُ السادسةَ عَشرَ: الجارُ	50
الخُطبةُ السابعةَ عَشرَ: إطعامُ الطَّعامِ	52
الخطبةُ الثامنةَ عَشرَ: النفقَةُ	54
الخُطبةُ التاسعةَ عَشرَ: الوصيَّةُ	56
الخُطبةُ العشرُونَ: الغشُّ	58
الخطبةُ الحاديةَ والعِشرونَ: السُّوقُ	60

الخُطبةُ الثانية والعشرون: الأمانةُ 63
الخطبةُ الثالثةُ والعشرونَ: الإسْرافُ 65
الخطبةُ الرابعة والعشرون: النَّارُ والشَّجَرُ 67
الخُطبةُ الخامسة والعشرونَ: وجوبُ أداءِ الزَّكاة 70
الخُطبةُ السادسة والعشْرُونَ: مانعُو الزكاة 73
الخُطبةُ السابعة والعشرونَ: الصَّدقاتُ 75
الخُطبةُ الثامنة والعشْرونُ: الشِّتاءُ 78
الخُطبـةُ التاسعة والعشْـرونَ: الصَّيـفُ والعَـزْلُ الحراريُّ الأُخْرَويُّ 81
الخُطبةُ الثلاثون: والصُّبْحِ إذا تنفّسَ 84
الخُطبةُ الحادية والثَّلاثُونَ: أسبابُ الرَّحمة 87
الخُطبةُ الثانية والثلاثُونَ: التوكُّلُ 90
الخُطبةُ الثالثة والثَّلاثُونَ: استقبالُ رمضانَ 92
الخُطبةُ الرابعة والثَّلاثُونَ: خُطبةُ عيد الفطْر 95
الخُطبةُ الخامسة والثَّلاثُونَ: خُطبةُ عيد الأضحَى 98
الخُطبةُ السَّادسةُ والثَّلاثُونَ: الإسراءُ والمعراجُ 101
الخُطبةُ السابعة والثَّلاثُونَ: كَمالُ الشَّريعة السَّمحة 103
الخُطبةُ الثامنة والثَّلاثُونَ: البركَةُ 105
الخُطبةُ التاسعةُ والثَّلاثُونَ: مَفاتيحُ الرِّزْقِ 108
الخُطبةُ الأربَعونَ: مَغاليقُ الرِّزقِ 111

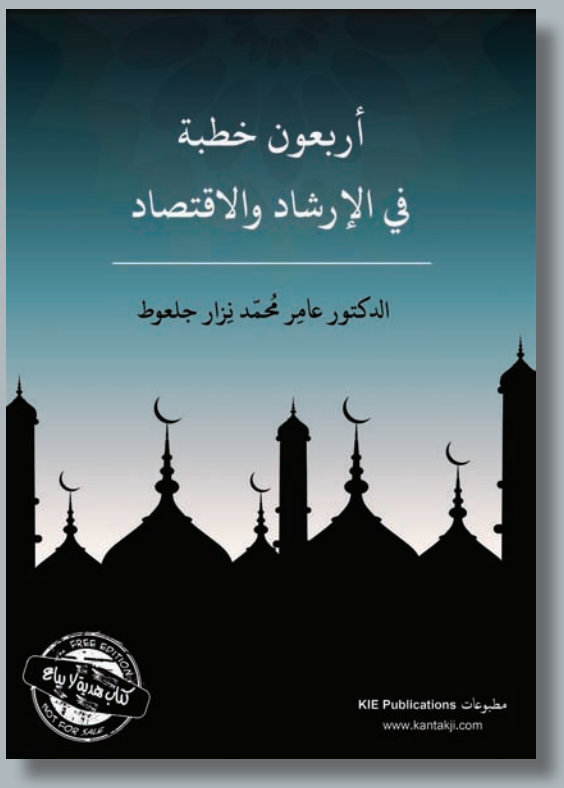

لِما كانَ مِن أمرِ النبيِّ صلَّى اللّٰهُ عليهِ وسلَّم: «بلِّغُوا عنِّي ولو آيةً» فقد جَمعتُ خُطباً مُوجَزةً في الإرشادِ والاقتصادِ الإسلاميِّ؛ لِتكونَ عوناً لطالبِ العلمِ في الخُطبِ المِنبريةِ؛ مِن خلالِ هذا البابِ الكبيرِ الذي يَمسُّ أمورَ الحياةِ بشكلٍ مُباشرٍ أو غيرِ مباشرٍ؛ فخُطبةُ الجمعةِ تتوسَّطُ معاشَ الناسِ وبيعَهم وشرائَهم؛ فلابُدَّ مِن تذكيرِ الناسِ في حُسنِ تعامُلِهم تُجاهَ بعضِهم بَعضاً.

وهذا هُو التوازنُ بين مُقتضياتِ الحياةِ؛ من علمٍ، وعملٍ، وكدٍّ، ونشاطٍ، وكسبٍ، وبين عُزلةٍ قصيرةٍ للرُّوحِ، وانقطاعِ القلبِ وتجرُّدِه للذِّكرِ، والمؤمنُ لا ينبغي له الغَفلةُ عن اللّٰهِ تعالى حتّى عندما يبتغي مِن فَضْلِ اللّٰهِ الكريمِ.